العدد السادس
السنة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٠٥

الاشتراكات
م
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

شعبان سنة ١٣٧٢
أبريل سنة ١٩٥٣

مع ذكرى الإسراء والمعراج :

في بيت المقدس

مضى شهر رجب ، وذكر المسلمون فيه ليلة الإسراء والمعراج ، واحتفلوا بالذكرى في كل أقطارهم . واحتفالهم بها أمر لم يعتده أسلافهم الأولون ، ولم يؤثر عنهم شيء منه ، لأنهم كانوا يعيشون في معاني ذكريات نبيهم صلى الله عليه وسلم وحقائقها ، وكانوا بذلك في غنى عن الاحتفال ، ولم تكن أمثال هذه الأيام المباركة لتذكرهم بشيء نسوه ، وكيف ينسون ؟ ...

إنهم إن نسوا عبرة «الإسراء والمعراج» في صلة نبيهم بالسماء ، وفي أمانته على الغيب ، وفي وجوب التسليم بكل ما بلغ عن ربه . . . فقد نسوا أصل دينهم ، وإن نسوا عبرة « الهجرة » في ابتلاء الله لأهل الحق ، وفي معنى الفداء والتضحية ، وفي أن الصبر على الأذى والبلاء بعده النصر ... فقد نسوا ذروة السنام من فرائض الإسلام ، وإن هم نسوا عبرة « المولد » . . في جلال النبوة وكمال النبي ... فقد أتوا الحق من غير بابه ، وأدلجوا مع الهوى والباطل دون سراج منير ... وهكذا مع كل ذكرى وعبرة .

العدد السادس

السنة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع المنيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٠٠٥

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة
تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات

١٠٠	عن سنة كاملة
٦٠	عن نصف سنة
	للطلاب وجنود الجيش
٨٠	عن سنة كاملة
٤٠	عن نصف سنة
٢٥	عن ثلاثة أعداد

يضاف اليها أجرة البريد خارج القطر

شعبان سنة ١٣٧٢ — أبريل سنة ١٩٥٣

مع ذكرى الاسراء والمعراج :

في بيت المقدس

مضى شهر رجب ، وذكر المسلمون فيه ليلة الإسراء والمعراج ، واحتفلوا بالذكرى في كل أقطارهم . واحتفالهم بها أمر لم يعتده أسلافهم الأولون ، ولم يؤثر عنهم شيء منه ، لأنهم كانوا يعيشون في معاني ذكريات نبيهم صلى الله عليه وسلم وحقائقها ، وكانوا بذلك في غنى عن الاحتفال ، ولم تكن أمثال هذه الأيام المباركة لتذكرهم بشيء نسوه ، وكيف ينسون ؟ ...

إنهم إن نسوا عبرة «الإسراء والمعراج» في صلة نبيهم بالسماء ، وفي أمانته على الغيب ، وفي وجوب التسليم بكل ما بلغ عن ربه ... فقد نسوا أصل دينهم ، وإن نسوا عبرة « الهجرة » في ابتلاء الله لأهل الحق ، وفي معنى الفداء والتضحية ، وفي أن الصبر على الأذى والبلاء بعده النصر ... فقد نسوا ذروة السنام من فرائض الإسلام ، وإن هم نسوا عبرة « المولد » .. في جلال النبوة وكمال النبي ... فقد أتوا الحق من غير بابه ، وأدلجوا مع الهوى والباطل دون سراج منير ... وهكذا مع كل ذكرى وعبرة .

فكيف ينسون ؟ !

أما نحن ... نحن مسلمي هذا الزمان ... فقد انقطع ركبنا عن نور الحقائق التى عاش فيها سلفنا الأول الصالح ، ولبسنا شيئاً من ظاهر الإسلام على باطن ألم من أوهامنا وأوجاعنا وأمانينا ، وحتى هذا الظاهر الملبوس لم يسلم من الخرافة والدخل . وصرنا نذكر الحقائق حين نذكّر بها ، واتخذ بعضنا للذكرى مواسم من كل عام ، وربما لايكون من ذلك بأس إذا وقف عند العبرة لايتجاوزها ، وإذا حرص على بساطة المظهر التى اتسم بها الإسلام فلم يبتدع فيه ماليس منه ، وإذا لم يدع لشىء قط أن ينال من روعة التوحيد فى أنفس الناس ، وهو يدعوهم إلى جمال الأسوة فى النبى الحبيب صلى الله عليه وسلم .

إننا حين نرتضى هذه المواسم على هذا الأساس ، وفى هذه الحدود ، فقد جعلناها « محطات » ندفع المسلمين بينها من تذكرة إلى تذكرة ، حتى يذكروا ويعوا ، وحتى تستدير حالهم على هيئتها الأولى فى أسلافهم ، فيستغنوا عن المظهر بالمخبر ، وعن الأحفال والمواسم بالذكر المتجدد الدائم لما أمرهم الله أن يذكروه .

***

وقد قدر لى — منذ أيام — أن أشهد احتفالا كريما بذكرى الإسراء والمعراج فى بيت المقدس ، حضرته وفود من الأقطار العربية ، واحتشد له إخواننا أهل القدس ، وغشى الجمع هذه الليلة كثير من المعانى الكبيرة ، وسرت فيه كهرباء . . وانتحيت جانبا من قاعة المدرسة العمرية أرقب الجالسين تارة ، وأصيخ سمعى إلى المتحدثين تارة أخرى ، وتراود نفسى طيوف من عبر الذكرى فأحلق معها فى آفاق مشرقة فسيحة ، وتأخذ عينى مشاهد الهوان والأسى فى الواقع الممسوخ المحيط بالمسجد الأقصى ، فيفور قلبى بين جنبى ، وأحس بمثل حزة السكين تقطع نياطه ، وأكاد أذوب حزنا وحسرة . . ماذا أرى ؟

على بعد مئات من الأمتار من كل ناحية حواليك : يهود معسكرون فى بيوت وقلاع ، وفى الجامعة العبرية ومستشفى الهداسا ، يدبرون الفصل الجديد من مؤامراتهم على المسلمين ... ليهدموا المسجد الأقصى ويقيموا مكانه هيكل سليمان ، وليجلوا كل مسلم عن الأرض المقدسة حتى تبقى خالصة لدنس اليهود . . ؟ وبين أسوار القدس القديمة آلاف من المسلمين آدهم العوز ، وأنهكتهم قسوة تكاليف العيش . وليست الفاقة هى كل

مايعانون ، فهم يقضون أيامهم ولياليهم الصعبة الطويلة بين آثار الدمار والهوان الماثلة أمام أعينهم ، وذكريات الفزع والهول والضحايا العزيزة فى المعركة الهزيلة التى لايدرون كيف بدأت وكيف انتهت ؛ وأحلام الغد المجهول الذى لايعلمه إلا الله .

وإخواننا أهل بيت المقدس هم سدنة المسجد الأقصى وصف المسلمين الأول فى المعركة ، فكان حريا بالمسلمين جميعاً أن يمدوا إليهم يداً ، وأن يهيئوا لهم ما يعينهم على الثبات أمام الإعصار والفتنة ، فإن اليهود المحيطين بهم مزيج من كل جنس ولون ، والشر الذى يراد بهم شرعات مدمر لا يغنى معه الدعاء والأمانى ، ولايطفىء سعرته إلاأن يهدم الأقصى ويرقص اليهود على دم المسلمين الغزير رقصة النصر — كما رقص إخوة لهم من قبل — بل أن سيناء ودلتا مصر من مطامعهم ، وملكهم المنشود من دجلة إلى النيل . ومواطن خيبر وبنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة فى برنامجهم ؛ فبأى حق يترك إخواننا فى القدس ، وفى سائر الأجزاء الباقية من فلسطين ، يصلون وحدهم هذه النار ؟ ولماذا تسمى المعركة « معركة فلسطين » ؟ أما كان أولى أن تسمى « معركة الإسلام والمسلمين » ؟

أما كان واجبا أن يعسكر فى القدس اليوم صف قوى مرابط من مسلمى العالم كله يمدهم من وراءهم من المسلمين ، ويجعلونهم طلائع فى معركة لابد منها غداً أو بعد غد ، معركة حياة أوموت مع اليهود ، يخوضونها فى سبيل الله بعد أن ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم ، ويلتقون فيها مرة أخرى حول القبلة الأولى يردون عادية رد مثلها صلاح الدين . ويدفعون موجة عاتية تكسر مثلها من قبل على جبال فلسطين ؟؟ !

***

وحرام زعم الزاعم أن إخواننا أبناء فلسطين خانوا الأمانة وفرطوا ، فإن هذه فرية ظالمة لا يجرأ عليها عالم بتاريخ فلسطين القريب ، وبجهاد ثلاثين عاما طوالا وقف فيه أهلها وحدهم يكافحون الإنجليز واليهود معاً ، ويغالبون لؤم الاستعمار الطاغى الذى احتضن اليهودية ، أو احتضنته هى ، وسخّر لها قانونه وجنده وخبثه ... حتى ولد المولود الحرام . وما أكثر ما ثاروا وقتل منهم وجرح ، والمسلمون فى العالم كله فى غفلة عنهم ، أو فى مشغلة بقضايا محلية محدودة ، حددها قصر نظرهم ، وعددها بعدُ مابينهم ، وسهر على حدودها وبعد ما بينهم فيها وطنيات دخيلة على أخوة العقيدة بين المسلمين ، ورباط الحقد والجشع بين أعداء الإسلام « والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ولو أن المسلمين عرف بعضهم بعضا فى قضية

واحدة لما بقيت لهم قضايا ، ولما وجد المسعورون جزءا واحداً من وطنهم الكبير يمكن أن يكون لقمة سائغة . . .

وبقى عرب فلسطين رمزاً للبطولة ثلاثين عاما ، حتى كانت المعركة الهزيلة ، ودخلت جيوش الحكومات العربية — وليتها ما دخلت — فلسطين ، وظن المساكين الذين أصبحت المعركة أكبر منهم أن الجيوش الداخلة جاءت لنجدتهم فأسلموا لها الزمام ، واتجهوا إليها فى لهفة ورجاء ، ففجعوا الفجيعة المدمدمة ، ولقنتهم السياسة العربية الآثمة أول دروس الضعف والهزيمة ، فكان ما كان . وليس وراء ذلك شىء يؤخذ عليهم إلا آحاداً من الخونة يوجد أمثالهم فى كل أمة ، والتبعة فيما أصاب المعركة من من بعضهم واقعة على الساسة الذين خدعوا فيها أو اعتمدوا عليهم لا على مسلمى فلسطين وقد كان أولى بهؤلاء الساسة أن يدخلوا البيت من بابه ؛ فيعرفوا أخبار فلسطين ممن هم أدرى بشعابها ، ولا يعتمدون فى ذلك إلا على المقاييس الكريمة فى وزن أخلاق الرجال . . . ولكن من أين لهم هذه المقاييس وهم من نعلم فى كل قطر ؟ وهم لم يمارسوا الكفاح « الحق » حتى يعرفوا رجاله ، وحتى يثقل الطهر والجد فى ميزانهم عن الدنس والتهريج . . .

***

ومع بلاء اليهود المحدق ببيت المقدس ، بلاء آخر خطير خبيث ، هو مؤامرة غير إسلامية تهدف إلى تهيئة القدس للتدويل(١) ، والتدويل معناه إخراج القدس من أيدى المسلمين ، وحكمها حكما غير إسلامى : أى تحقيق ما قامت الحروب الصليبية وليس لها من هدف غيره ، وما بذلنا الدم الزكى والشهداء الميامين حتى لا يكون ؛ ومعنى التدويل أيضا أن يفتح باب القدس على مصراعيه لليهود ويصبح وكرا للجاسوسية والتهريب ، ومركزا لتصريف إنتاج اليهود ، وللمتاجرة بالعملة للتحكم فى اقتصاديات العرب ، وأهم من ذلك أن ترتفع فيها الحدود بين المسلمين واليهود ، ويصبح المسلمون بين أمرين : بين أن يثبتوا على إيمانهم ، وعلى الغيرة على حرماتهم ، وعلى جهادهم الذى بدأوه . . . وسيعتبرون حينئذ ثوارا على وضع دولى ، وستتولى القوى الدولية فى القدس — لا اليهود وحدهم — قمع كل حركة من حركاتهم ، وتشديد النكير عليهم ، وها قد رأينا ما أصاب طنجة « الدولية » وهى جزء من مراكش ، فأصبح يبطش فيها بالمسلمين !!؟ وبين أن يرضوا بالواقع الظالم ويسكنوا إليه ، وتتعود أجيالهم الناشئة رؤيته ويصعب

(١) إقرأ مجلة « المسلمون » العدد التاسع من السنة الأولى « فى أفق العالم الإسلامى » .

عليها تخيل سواه ، ويصبح المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله لا يعنى عندها أكثر من جدران لا بأس أن يغشاها من كل نواحيها دنس الدنيا جميعاً ولا بأس أن يطغى على صوت المؤذن فيها دوى الأجراس وضحكات الغانيات من كل لون ورنين نقود اليهود ! .

إن مؤامرة التدويل هذه دائبة العمل فى القدس ، محاولة صبغها بصبغة غير إسلامية ، ساهرة على إغراء المسلمين ببيع أرضهم بأبهظ الأثمان ، مهتبلة فرصة الفقر والحاجة فى الناس ، متخذة من الغفلة وروح التسامح فى المسلمين ومشغلتهم باليهود ستاراً غاذراً يعملون وراءه سراً وعلانية ! !.

وواجب المسلمين أن ينتبهوا إلى ما يراد بهم ، وألا يتحرجوا من كلمة الحق فإن من أعدائهم من يتدرع بحرجهم ، وأن يميزوا بين التسامح الواجب الكريم وبين الغفلة والبلاهة والتهاون غير الكريم ! وعليهم أن يمدوا يد العون المادى إلى إخوانهم فى بيت المقدس حتى يخففوا من وطأة هذه المؤامرة ويقطعوا حبالها ، فإن المسلم لا يبيع أرضه هناك إلا عن حاجة وعلى حكوماتهم — وهذا شىء نقوله أداء للأمانة وإبراء للذمة وإعذاراً إلى الله والناس — أن ترصد من أموالها وأموال جامعتها لإنقاذ بيت المقدس ونجدة مسلميه ، وعليها أن تعلم أن ضياع بيت المقدس معناه ضياع العرب والمسلمين ، فلتعمل هذه الحكومات لبقائها هى إذا لم تشأ أن تعمل لله رب العالمين ! .

***

قد يقول قائل : ولكننا خسرنا كثيراً فى فلسطين ! . وجوابى على ذلك أننا لم نخسر شيئاً فى فلسطين .

أما الشهداء فقد كسبوا الشهادة والجنة والذكر الجميل ، وأما الأرض التى ضاعت فإنما انتقلت من الإنجليز إلى اليهود ، وأما الفضائح التى بانت فكلها أقدم من قضية فلسطين ، وإنما كشفت فلسطين النقاب عنها ؛ فلماذا نلوم فلسطين ولا نلوم أنفسنا ؟ أليس أولى أن نقول جزى الله فلسطين كل خير ، فقد عرفنا بها الغث من الثمين ، وخطونا بها خطوة إلى تحطيم ما اعتدناه من عبادة الأوثان ، وشممنا فيها — بعد زمن من الميوعة والتخنث — رائحة الدم والبارود ، واجتزنا إليها الحدود الموهومة لنلتقى فى معركة واحدة بعد فرقة وشتات .

***

فإن قيل ولماذا هزمنا فى الجولة الأولى ؟ فالجواب أن العدل الإلهى لا يحابى المتخاذلين وإن كانوا مسلمين ، وأننا لم نقاتل بعد القتال الواجب فى فلسطين . . . إن

اليهود جاءوا من كل نواحى الأرض يقاتلون ليقيموا دولة إسرائيل . . فهى حرب عقيدة سافرة ظالمة ، لا يقوم لها إلا جند عقيدة يردون الباطل بالحق والكفر بالإيمان والظلمة بالنور ... فأين جند العقيدة من المسلمين ؟ أين هم : يتجهون إلى فلسطين لا . لينقذوا «الجارة الشقيقة» ! ولكن لينقذوا «المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله» ؟ . إن الحفنة القليلة من هؤلاء الجند المتطوعين صنعت الأعاجيب فى الجولة الأولى . . . وسيصنع أمثالها أضعاف ما صنعت حين يأذن لها الله أن تحمل عبء الجولة الثانية . .

ألا إن المسجد الأقصى أعز على الله من أن يحميه جند جاءوه لغير الله ، . . . ألا وإنه يوم يكون شعار حربنا « الله أكبر » نهتف بها بحقها ، أطهارا أقوياء ، فلن يكون يومئذ إلا ما وعد الله : « كتب الله لأغلبن » . سعيد رمضان

تعقيب

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبى

المرشد العام للاخوان المسلمين

اطلعت فى مجلة « المسلمون » على مقال فى « الربا » لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة ، ذكر فيه ما دار من مناقشة حول الموضوع فى ندوة الإخوان المسلمين .

وحاصل المسألة أنى ذكرت لبعض الباحثين أن الربا لا يجوز إلا إذا قضت به ضرورة واضطررنا إليه اضطراراً ، وحينئذ ينطبق علينا قول الله تعالى : «وقد فصّل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه» . ولم يخطر بالبال أن يكون الربا نظاماً معترفا به ، وليس له وجه من وجوه الحل ، وقد وافق الأستاذ أبو زهرة على حالة المضطر إلى قرض لم يجد من يقرضه إياه إلا بربا لإجراء جراحة . . الخ فثبت ما قلنا .

وقد ضربت له وضرب له الحاضرون أمثالا ؛ من ذلك ديون البنك العقارى المعقودة قبل العودة إلى كتاب الله : ماشأنها ؟ لم يقل أحد باحترام هذه العقود لأن العقد شريعة المتعاقدين ، فنحن نعلم أنه ليس للعاقدين شريعة إلا شريعة الله . وكل عقد خالف ذلك فهو باطل شرعاً لا يجوز تنفيذه عند إمكان عدم التنفيذ . وإنما كان السؤال ماذا نصنع إذا لم يمكنا لسبب من الأسباب التى ربما لا تخفى على أحد .

والجواب على ذلك واضح لا يحتاج إلى تكلف .

والمسألة بعد مسألة تقدير الضرورات ؛ وعلى المكلف بتقديرها أن يبذل قصارى جهده فى تحرى حكم الله فيها . والله أعلم .

قصص القرآن

نوح عليه السلام

عرض وتحليل للأستاذ البهى الخولى

(١)

تمهيد :

ماذا كان بين آدم ونوح عليهما السلام من أجيال وقرون ؟

لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه . . ولكنها على كل حال مدة كافية لأن يتطور الإنسان خلالها ، وينتقل من حال البدائية الفردية إلى حال المجتمع المستقر ، المتميز بكل خصائص القومية الأصيلة . . فإن أبناء آدم درجوا على هذه الأرض ومارسوا فيها — بالتدريج — ضروب كسب العيش . . . وشعر أفرادهم — مع الزمن وتعدد الاحتياجات — بعجز كل منهم — منفرداً — عن الوفاء بكل ما يحتاج إليه ، وأحس مع هذا العجز بحاجته إلى أخيه ، وضرورة التعاون معه . . فأخذوا يجتمعون ويخرجون من حالة البداءة الفردية إلى حالة التعاون الجماعى المعهود فى كل مجتمع مستقر . .

ولسنا نعنى بالفردية البدائية لوناً من همجية الوحش فى القيعان والأجمات ، بل نعنى تلك الحالة التى كان فيها الإنسان قليل « الاحتياجات » ؛ ولم يكن لأحد عليه من سلطان إلا سلطان وجدانه الخاص ، إذ لا حكومة تضبط سلوكه ، ولا جماعة تنظم له حريته فى نطاق خاص . . . أما طور الجماعة فهو طور الاحتياجات الكثيرة ، والتعاون المتبادل ، والحياة المتشابكة ، وفيها يغدو المرء محكوماً بسلطان جديد — إلى جانب سلطان وجدانه الخاص — هو سلطان الجماعة الذى يضطره إلى كبح جماحه ، وضبط كثير من ميوله ، وتنسيق مصالحه مع مصالح غيره . . .

ولقد قص القرآن الكريم نبأ ابنى آدم بالحق . . وفى هذا النبأ نلمح تقلب الإنسان فى طور البدائية الفردية ؛ فقد تنافس هذان الابنان — هابيل وقابيل — أمراً مرغوباً فيه من كل منهما ؛ فقربا قرباناً فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل ، فقال :

لأقتلنك . . فأجاب هابيل إنما يتقبل الله من المتقين . . لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إنى أخاف الله رب العالمين ... ولكن قابيل لم يتأثر بهذا النهج السلمى السامى ؛ ولم يطق أن يحال بينه وبين ما يشتهى ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله . . إلخ

أين وازع الحكومة ؟

أين سلطان الجماعة ؟

لاحكومة فى هذا الطور ولا سلطان يهيمن على المرء غير سلطان وجدانه الخاص .

والمعروف أن هبوط آدم إلى الأرض كان بدء حياة العقيدة الصالحة فيها ، وظهور آثار الوجدان المهذب ؛ أما الخبرة بالحياة ، والدربة على شئونها ، والصيرورة إلى الخصائص النفسية والواقعية لكل مجتمع مستقر فذلك مالا بد له من التجارب الطويلة والدهور الممتدة المتعاقبة .

ولسنا بصدد التحليل الدينى لقصة ابنى آدم عليه السلام ، بل بصدد استخراج بعض ما فيها من سمات الحياة البدائية الساذجة ؛ وقوله تعالى : « فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه . . الآية » واضح الدلالة على تلك البدائية : بدائية التجارب ، وبدائية التفكير فى المعانى الاجتماعية .

فإذا نقلت النظر إلى قصة نوح عليه السلام ، لا تجد البدائية الواضحة ، ولا الفردية المستعلنة ، بل تجد المجتمع المستكمل لكل صفات الجماعة المستقرة .

ونعنى بالمجتمع الفريق من الناس الذى استقر فى بقعة من الأرض ، كبيرة أو صغيرة . . . وربطت بينهم أواصر النسب القريبة أو البعيدة . . . ونظمتهم قوانين البيئة والوراثة القومية فى مشابه نفسية عامة متجانسة . . وواشجت بينهم المصالح المختلفة ووحدة الهدف العام . . وسلكتهم فطرة المجتمع بحسب حرفهم وصناعاتهم طوائف متعاونة . . وتألف منهم على الزمن خاصة وعامة . . . وقادة وشعب .

والتأمل فى قصة نوح عليه السلام يرى أن الله سبحانه قد بثّ فى ثناياها خصائص المجتمع الذى نعنيه :

فنوح عليه السلام من هؤلاء القوم . . . وهم منه ، عشيرته الأقربون والأبعدون ، وهو يوجه إليهم الخطاب — فيما يحكيه القرآن الكريم عنه — بقوله : « أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم . . . الآية(١) » .

---

(١) الأعراف : ٦٣

والإشارة إلى تفرقهم طوائف متفاوتة بحسب ما لكل من حرفة وصناعة أو عمل، تراها فى مثل قوله تعالى — حكاية عنهم وهم يجادلون نبيهم — : « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى[١] . . . » فالمراد بالأراذل — فى زعمهم — كما يقول المفسرون ، هم الفقراء والباعة الصغار ، والحاكة ، وسائر أرباب الحرف الصغيرة.

والإشارة إلى انتظامهم عامة وخاصة . . . أو شعبا وقادة تلوح لك فى مثل قول نوح عليه السلام : « رب إنهم عصونى ، واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا . . » ففى هذا القول تابعون ومتبوعون ... والمتبوعون هم من أرباب الثروة والجاه .

* * *

وعلى هذا فقصة نوح عليه السلام ، هى قصة المجتمع الأول ، أو أول مجتمع يجعل الله سبحانه أمره موضعا للعظة والاعتبار .

وقد قال فريق من العلماء : إن إدريس عليه السلام كان قبل نوح؛ ولكن آخرين ردوا هذا القول وعارضوه بأدلة لا ضرورة لذكرها .

وليس من قصدنا فى هذا المقام ترجيح أحد القولين على الآخر ، بل بيان ما لهذا القول من معارضة . . . وعلى فرض صحة الرأى القائل بسبق إدريس لنوح عليه السلام فإنه لا يبطل ما قلناه من أن قصة نوح هى قصة المجتمع الأول أو أول مجتمع ضربه الله سبحانه مثلا للعظة والاعتبار ، فإن كل ما جاء فى القرآن الكريم عن إدريس لا يعدو أن يكون ثناء طيبا جمعه الله جل ثناؤه فى قوله الكريم : « واذكر فى الكتاب إدريس أنه كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا عليا[٢] » أما قومه وما كان بينهم وبينه من تجاوب أو معارضة فلم يرد عنه شيء .

فإذا كانت قصة آدم عليه السلام هى قصة تكوين البشر الأول ، ومبدأ تقلبه فى المعصية والرشد ، فقصة نوح عليه السلام هى قصة المجتمع الأول — وقصة كل مجتمع — وما له من تقلب فى الغواية والرشد .

* * *

بعث نوح عليه السلام فى مجتمع فاسد العقيدة ، زائغ عن عبادة الله سبحانه إلى عبادة الأوثان . . . فقام فيهم يصحح عقيدتهم ، ويردهم إلى عبادة الله وحده .. « يا قوم إنى

---

(١) هود : ٢٧

(٢) مريم : ٥٧

لكم نذير مبين(١) » يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٢) »

وكان أسلوبه فى الدعوة واضحاً قوياً يعتمد على البراهين الفطرية ، والاستدلالات العقلية . . .

ماذا خلقت تلك الأوثان ، وماذا خلق الله !

« ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً ، وجعل الشمس سراجاً ؟ ! »

« والله أنبتكم من الأرض نباتاً . . . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا »

« والله جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سبلا فجاجا (٣) »

وذعر أرباب الجاه والمال لهذه الدعوة ، ورأوا فى نبرات هذا الداعية الصادق ما يتهدد جاههم ومنافعهم ، ويؤذن بإقبال الناس عليه والتفافهم حوله ، وزاد من فزعهم أن تبعه بعض العامة أول الأمر ، فقاموا يناوئونه ، ويعملون على إخفات صوته ، وتشويه أمره ، وتنفير الناس منه . . .

ولم يكن أقرب إليهم من استغلال الجماهير ، فأثاروا فيهم حماستهم الدينية ، وأظهروا تعظيمهم للأوثان ، واستهجانهم لهذا الداعية ، الذى يحط من قدر الآلهة ؛ وقالوا للناس : « لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن وداً ، ولا سواعاً ، ولا يغوث ويعوق ونسراً (٤) »

وحمد العامة لقادتهم وكبرائهم غيرتهم الدينية ، ومحافظتهم على آلهتهم ممن يبغيها بسوء ، فاتبعوهم على مخالفة هذا النبى ومناوأته .

وفرغ الخاصة له ، يتهمونه بالرغبة فى الجاه والسلطان تارة : « فقال الملأ من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم » . . ويرمونه بالجنون أخرى : « إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين (٥) »

واستغلوا الوثنية ، وثنية الفكر والعقيدة فى استبعادها أن يكون البشر نبياً من الله ، ودعموها بما كان عليه الآباء والأجداد من جهل وزور ، فقالوا فيما قالوا : « ولو شاء الله لأنزل ملائكة ، ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين (٦) »

---

(١) نوح : ٢ (٢) الأعراف : ٦٩ (٣) نوح : ١٥ — ٢٠

(٤) نوح : ٢٣ (٥) المؤمنون . ٢٤ (٦) المؤمنون : ٢٥ (٧) المؤمنون : ٢٤

إلى غير ذلك من أفانين الوثنية . واستغلال سطحية الفكر الجماعى ، مما رفع من شأن الخاصة وعظمت به مظاهرة الجماهير إياهم ، وانصراف أكثر القوم عنه عليه السلام .

وفى تلك الحال يقول نوح : « رب إنهم عصونى ، واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً »

وفى إصرارهم على النفور منه ، والإعراض عنه ، وعدم الاستماع إليه يقول عليه السلام « رب إنى دعوت قومى ليلا ونهاراً ، فلم يزدهم دعائى إلا فراراً ، وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا ، واستكبروا استكبارا (١) »

واستمر نوح يدعو قومه إلى الله ، ويجادلهم فى وثنيتهم التى أفسدت نظرهم إلى حقائق الحياة وتقديرهم لقيمها المختلفة ، وينذرهم مغبة هذا الفساد ؛ ولكن لم يغن الجدل والنذير شيئا ، فإن الوضع فى البيئة كان قد تبلور أو انتهى إلى حال من الجمود والجحود لا يجدى معه صدق الداعيه ولا اجتهاده بعد أن صار حال العامة إلى ما ذكرنا من تأييدهم التام لقادتهم وكبرائهم . . . وطال مكثه فيهم على هذه الحال ألف سنة إلا خمسين عاما — على ما قرره القرآن الكريم — فلم يتلق منهم إلا قولهم : « يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٢) » .. وزادوا على ذلك التيئيس فأوعدوه وهددوه ، وقالوا : « لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (٣) »

* * *

« وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون (٤) » فقد تميز القوم فريقين : فريق المؤمنين الذين يأخذون بأسباب النجاة ويعملون بعمل أهل الإيمان ، وفريق الكافرين الذين يضلون سبيل النجاة ، ويعملون بعمل الهالكين ؛ ولم يبق إلا أن يحل الله سبحانه بكل فريق عاقبة عمله : للمؤمنين النجاة والمثوبة ، وللمبطلين الهلاك والشقوة . . . وأوحى الله سبحانه إلى نوح بذلك ، وأخبره أنه موشك أن يأخذهم بطوفان من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وأمره أن يصنع سفينة ليأوى إليها حينما يأتى أمر الله هو وأهله — إلا من سبق عليه القول — ومن آمن معه . . .

---

(١) نوح : ٥ ، ٧ . (٢) هود : ٣٢ . (٣) الشعراء : ١١٦
(٤) هود : ٣٦

ونفذت فى القوم سنة الله ، فانفتحت أبواب السماء بماء منهمر ، وتفجرت الأرض عيونا . . . والتقى فيض السماء بماء الينابيع والعيون ، فى صورة رهيبة ، وحالة كرب مذهل عصيب . . . وتوالى ما يتدفق من السماء ، وما يتفجر من الأرض . . . وارتفع السيح ، وعظمت اللجة ؛ وأخذت الربا والهضاب تغيب تحت سطح الماء ؛ وأخذ الطوفان يزحف إلى قمم الجبـــال الشامخة ليغطيها . . . كل ذلك ومستكبرو الأمس مذعورون ، قد تفرقت ألبابهم ، وذهلت عقولهم ؛ يفرون من هضبة إلى هضبة ، ومن قمة إلى قمة ، يظنون أنهم عاصمون أنفسهم من أمر الله . . . أما أهل الإيمان فقد أخذت سفينة النجاة تشق بهم اللجة ، « وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه وكان فى معزل ، يا بنى اركب معنا ولا تـكن مع الـكافرين ، قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فـكان من المغرقين (١) . »

وتمت كلمة الله ، وطهرت الأرض من كل كافر وكافرة ، وأذن الله أن ترفع غاشية الطوفان ، فأقلعت السماء ، وكفت الأرض ؛ وغيض الماء ؛ وقضى الأمر ، واستوت سفينة المؤمنين على الجردى ؛ ونودى نوح عليه السلام « اهبط بسلام منا ، وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .

(١) هود : ٤٢ ، ٤٣

مناجاة

رب هب للشباب آهاتى الحرى وهب للصقور ريشاً جديداً

بغيتى أن تمد فى الأرض من شعلة عقلى نوراً عميماً مديداً

إقبال

(ترجمة شاعر اليمن القاضى محمد محمود الزبيرى)

السُّنّة

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعى

(٣)

علوم الحديث :

وثمة علوم أخرى استلزمتها دراسة السنة وروايتها والدفاع عنها وتحقيق أصولها ومصادرها وقد أوصلها أبو عبد الله الحاكم النيسابورى (٤٠٥) فى كتابه « معرفة علوم الحديث » إلى اثنين وخمسين علماً ، نذكر أهمها فيما يلى ليتبين دقة علماء السنة فى نقدهم لها وتحقيقهم فى ضبطها ودأبهم على صيانتها .

الأول : معرفة صدق المحدث واتقانه وصحة أصوله وما يحتمله سنه ورحلته من الأسانيد أو غير ذلك من غفلته وتهاونه بنفسه وعلمه وأصوله « قال أبو عبد الله الحاكم » ومما يحتاج إليه طالب الحديث فى زماننا أن يبحث عن أحوال المحدث : هل يعتقد الشريعة فى التوحيد ؟ وهل يلزم نفسه طاعة الأنبياء والرسل فيما أوحى إليهم ؟ وهل المحدث صاحب هدى يدعو الناس إلى هداه ؟ . . وهل يحتمل سنه سماعه من شيوخه الذين يحدث عنهم ؟ فقد رأينا من المشايخ جماعة أخبرونا بسن يقصر عن لقاء شيوخ حدثونا عنهم .. ثم يتأمل أصول المحدث (كتبه التى يحدث عنها) أعتيقة هى أم جديدة ؟ فقد نبغ فى عصرنا هذا جماعة يشترون الكتب فيحدثون بها (على أنها من سماعهم) وجماعة يكتبون سماعاتهم بخطوطهم فى كتب عتيقة فيحدثون بها . وعلى أهل الصنعة إذا سمعوا من أمثال هؤلاء بعد الخبرة أن يجرحوهم ويسقطوهم إلى أن تظهر توبتهم ، وعلى الجاهلين بالصنعة أن يسألوا عما لا يعرفونه » .

الثانى : معرفة المسانيد من الأحاديث : قال الحاكم وهذا علم كبير من هذه الأنواع لاختلاف أئمة المسلمين فى الاحتجاج بغير المسند ، والمسند من الحديث أن يرويه المحدث عن شيخ يظهر سماعه منه لسن يحتمله ، وكذلك سماع شيخه من شيخه إلى أن يصل الاسناد إلى صحابى مشهور إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثالث : معرفة الموقوفات من الآثار : مثل ما أخرجه الحاكم عن المغيرة بن شعبة قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير . . قال الحاكم

هذا حديث يتوهمه من ليس من أهل الصنعة مسنداً ، لورود اسم رسول الله فيه وليس بمسند فإنه موقوف على صحابى حكى عن أقرانه من الصحابة فعلا ، وليس يسنده واحد منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرابع : معرفة المدرج فى الحديث : وهو ما أدخل فى حديث النبى صلى الله عليه عليه وسلم من كلام الصحابى كشرح للحديث أو تعليق عليه ، ومثل لذلك الحاكم بما أخرجه عن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ بيده فعلمه التشهد فى الصلاة فذكر التشهد ثم قال : فإذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك إن شئت أن تقوم فقم وإن شئت أن تقعد فاقعد « قال الحاكم وقوله » فإذا قلت هـذا الخ مدرج فى الحديث من كلام عبد الله بن مسعود ، ويدل لذلك ماجاء فى طريق آخر من التصريح بذلك بعد صيغة التشهد : قال عبد الله بن مسعود : إذا فرغت من هذا فقد قضيت صلاتك .

الخامس : معرفة الصحيح والقيم : وهو غير الجرح والتعديل فرب إسناد يسلم من المجروحين غير مخرج فى كتب الصحيح .. وضرب الحاكم لذلك مثلا بما أخرجه بسنده المتصل إلى ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم « صلاة الليل والنهار مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل » فهذا حديث ليس فى إسناده إلا ثقة ثبت مع أن ذكر النهار فيه وهم .. ثم قال الحاكم : إن الصحيح لا يعرف بروايته فقط وإنما يعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع وليس لهذا النوع من العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة ليظهر مايخفى من علة الحديث ، فإذا وجد مثل هذه الأحاديث بالأسانيد الصحيحة غير مخرجة فى كتابى الإمامين البخارى ومسلم لزم صاحب الحديث التنقير عن علته ومذاكرة أهل المعرفة لتظهر علته .

السادس : معرفة علل الحديث : وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل .. قال الحاكم : وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل ، فإن حديث المجروح ساقط واه ، وعلة الحديث تكثر فى أحاديث الثقات بحديث له علة فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولا ، والحجة عندنا فيه الحفظ والفهم والمعرفة لا غير ، ثم ذكر له عشرة أنواع ومثل لكل نوع ولم يذكر لها قواعد وإنما كان يذكر لكل نوع مثالا ثم يذكر علته ، وجميع العلل تدور حول دخول حديث فى حديث أو وهم لحق الراوى أو وصل حديث وهو فى الواقع مرسل وهكذا .

السابع : معرفة مذاهب المحدثين : وقد نقل الحاكم نصوصاً كثيرة عن أئمة الحديث يذكرون فيها مذاهب بعض الرواة لتحذير الناس منهم .

الثامن : معرفة التصحيفات فى متون الأحاديث وأسانيدها : وقد ذكر الحاكم لذلك أمثلة كثيرة وأن جماعة من أئمة الحديث وقعوا فى هذه الأخطاء .

التاسع : معرفة مراتب الصحابة وأولادهم : فهم كما ذكر الحاكم اثنتا عشرة طبقة أولها من أسلم بمكة وآخرها صبيان وأطفال رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفى حجة الوداع وعدادهم من الصحابة ، كما يجب العلم بمعرفة أولاد الصحابة كيلا يلتبس الأمر بين ما يرويه الصحابى وما يرويه ولد الصحابى ، ومن جهل هذا النوع اشتبه عليه كثير من الروايات .

العاشر : معرفة التابعين : وهذا نوع يشتمل على علوم كثيرة فإنهم على طبقات فى الترتيب ، ومهما غفل الإنسان عن هـذا العلم لم يفرق بين الصحابة والتابعين ، ثم لم يفرق أيضاً بين التابعين وأتباع التابعين وقد صنفهم الحاكم إلى خمس عشرة طبقة .

هذه هى بعض علوم الحديث اختصرتها لك من كتاب أبى عبد الله الحاكم وهو كتاب مستوفى لم يسبق إلى مثله . .

كتب فى الموضوعات والوضاعين :

كان من عادة السلف حين وقع الكذب فى الحديث وتتبعوا الكذابين وعرفوهم ، أن يجهروا بأسمائهم فى المجالس فيقولون فلان كذاب لا تأخذوا عنه ، فلان زنديق ، فلان صاحب هوى وبدعة وهكذا . . وقد عرف بالكذب واشتهر بين المحدثين أناس . منهم : أبان بن جعفر النميرى . . وضع على أبى حنيفة ثلاثمائة حديث لم يحدث أبو حنيفة بواحد منها .

إبراهيم بن زيد الأسلمى . . روى عن مالك أحاديث لا أصل لها .

أحمد بن عبد الله الجويبارى . . وضع ألوفاً من الأحاديث للكرامية .

جابر بن زيد الجعفى . . قال فيه سفيان : سمعت جابراً يحدث بنحو ثلاثين ألف حديث ما أستحل أن أذكر منها شيئاً وأن لى كذا وكذا .

محمد بن شجاع الثلجى . . وضع أحاديث التشبيه ونسبها إلى أهل الحديث .

نوح بن أبى مريم . . وضع حديث فضائل القرآن سورة فسورة وقد اعترف بوضعه لهذه الحديث الطويل واعتذر بأنه أراد أن يصرف الناس عن فقه أبى حنيفة ومغازى بن إسحق إلى قراءة القرآن .

الحارث بن عبد الله الأعور ، مقاتل بن سليمان ، محمد بن سعيد المصلوب ، الواقدى ، ابن أبى يحيى .

ثم تتبع العلماء الأحاديث الموضوعة فأفردوها بالجمع والتأليف تنبيهاً للعامة حتى لا يغتروا بها ، ومن أشهر هذه الكتب :

١ — الموضوعات للحافظ أبى الفرج بن الجوزى (٥٩٧) وقد ذكر فيه كل ما اعتقد بوضعه من الأحاديث ولو فى كتب الصحاح ؛ فذكر حديثاً فى صحيح البخارى وحديثين فى مسلم ، وثمانية وثلاثين فى مسند أحمد ، وتسعة فى سنن أبى داود ، وثلاثين فى جامع الترمذى ، وعشرة فى سنن النسائى ، وثلاثين فى سنن ابن ماجه ، وستين فى مستدرك الحاكم ، وأحاديث أخرى فيما عداها من كتب السنة ، وقد تعقبه العلماء فأقروا أكثر ما حكم بوضعه وخالفوه فى قليل منها وخاصة ما يتعلق بأحاديث البخارى ومسلم والإمام أحمد .

٢ — المغنى عن الحافظ والكتاب لأبى عمر بن بدر الموصلى (٦٢٣) اكتفى فيه بذكر الأبواب التى لم يصح فيها شىء من الحديث مثل قوله : باب فى زيادة الإيمان ونقصانه وأنه قول وعمل ثم يقول : لا يصح فى الباب شىء ، وقد تعقبه العلماء أيضاً .

٣ — اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للحافظ السيوطى (٩١١) وقد قال فى مقدمته : إنه وضعه ليختصر فيه كتاب أبى الفرج بن الجوزى أو لينتقد ما فيه من خطأ فى الحكم على بعض الأحاديث الصحيحة بالوضع . . وقد كتب هذا الكتاب مرتين الأولى انتهى من تأليفه سنة ٨٧٥ وكان التعقيبات فيه قليلة وعلى وجه الاختصار وقد كتب منه عدة نسخ راحت إحداها إلى بلاد التكرور . . والثانية ابتدأ فى تأليفها سنة ٩٠٥ إذ بسط الموضوع بسطا وافياً وزاد فيه أحاديث فاتت أبا الفرج فلم يذكرها فى كتابه مع أنها من الموضوعات . . وقد جمع هذه الزيادات فى ذيل خاص بعد أن نقل كل ما ذكره ابن الجوزى .

٤ — تذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر بن على الفتنى (٩٨٦) وقد ألحق به رسالة فى الوضاعين والضعفاء مرتبة على حروف المعجم .

٥ — الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للامام الشوكانى المتوفى (١٢٥٠)

هذا ما يتعلق بجهود العلماء فى تدوين السنة وتصحيحها وتنقيتها من الدخيل والموضوع وإنه ليدل على ما بذلوه — رحمهم الله — من جهد فى هذا السبيل لم يقع مثله لأمة من الأمم ، بل لم يصل العلم الحديث إلى مثل هذه الجهود والدقة فى تمحيص التاريخ وروايته ، كما سنوضح ذلك إن شاء الله .

شريعة الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ — تلك هى شريعة القرآن قد غفل عنها المسلمون فضاعوا ، وأهملوها فذهبت عزتهم ، وضعفت كلمتهم وصار أمرهم سَدَداً بَدداً ، لا جامعة تجمعهم ، ولا رابطة تربطهم ، وهُزِّعت الأخلاق ، واستبيحت المحرمات ، وتحكمت الأهواء ، فصار الشح مطاعاً والهوى متبعاً ، وأصبح بأسهم بينهم شديداً ، وقلوبهم شتى ، وتقطعوا شيعاً وأحزاباً « كل حزب بما لديهم فرحون » كأن الله سبحانه وتعالى لم ينزل على نبيه الكريم « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » فما جمعنا شملنا ، ولا عبدنا حق العبادة ربنا ، وتوزعتنا الأرض ، فارتبط كل بإقليمه ، كأنه لا يعرف وحدة سواه ، ونسى أن للسلمين تجمعهم كلمة الله ، وشريعته التى نزلت على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك التوزع ذهبت النخوة ، وماتت العزة الإسلامية ، ورضينا بالذل مقاماً ، وبالهون من المنازل حظاً وقَسْماً ؛ ونسينا قول الله تعالى : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وصرنا معشر المسلمين هدفاً تصوب إليه السهام ، وغرضاً ينال ، ونهباً مقسوماً بين الذين لا يريدون بالإسلام إلا خبالا ، ولا يرجون للمسلمين وقاراً ، بل صرنا نستغل والغلة لغيرنا ، ونعمل والثمرة لأعدائنا ، ونسعى فى الأرض التى ارتبطنا بها وليس السعى لنا بل نتائجه لغيرنا ، وكأن الله سخرنا عبيداً أو عسفاء[1] لهم ، ونسينا قول الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

لقد صار أمرنا ليس بأيدينا ، وولايتنا بأيدى غيرنا ؛ يوجهون فى بلادنا السياسة ويتحكمون فى أسواقنا الاقتصادية ، ما يحلونه نستحله ، ولو أكد القرآن الكريم تحريمه ، وما يحرمونه نحرمه ، ولو كان فى القرآن الكريم إباحته ، نحل بأمرهم ما حرم الله ، ونحرم بأمرهم ما أحل الله ، يستنصر الكثير منا بهم ، ويجعلون الولاية لهم ، ونسينا قول الله تعالى : « هنالك الولاية لله الحق » وقوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين

(١) جمع عسيف وهو العامل الأجير الذى يعمل لغيره .

أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير » .

٢ — هذا ما آل إليه أمرنا ، أو بالأحرى بعض ما آل إليه أمرنا عندما تركنا شريعة القرآن ، فقد نسينا صدر تاريخنا ، وتنكرنا لماضينا ، ورضينا بحاضرنا ، وقبلنا أن نكون فى كل شىء تابعين ومن قبل كنا متبوعين ، حتى خواطرنا سمحنا لغير المسلمين أن يتحكموا فيها ، فسرنا لا نفكر إلا بتفكيرهم ولا نتخيل إلا بأخيلتهم ، وكأننا لم يكن لنا فى الماضى حضارة إسلامية قائمة ، ساست العالم ، أو ما وصلت إليه هدايته بالقسطاس المستقيم .

لقد كانت الشريعة يوم طبقها أهل القرآن نوراً أضاء فى العالمين ، وعدلا مثالياً لم يعرفه الناس حقيقة واقعة إلا أيام أن حكم بالقرآن وشريعته وهدايته : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز ، أولئك الأطهار الأبرار الذين حققوا فى العالم ما كان يتصوره الحكماء والفلاسفة حلماً من الأحلام ، يتخيله العلماء ، ويتصوره الحكماء ؛ ولكن لا يحققه الوجود الإنسانى ؛ فباسم الله الرحمن الرحيم حقق أولئك الأطهار الأبرار تلك المعانى العليا ؛ لقد سووا بين بنى الإنسان ، فلا تفاوت فى العدالة والحقوق والواجبات بين الأجناس ، بل الجميع سواء ، كلهم لآدم وآدم من تراب ؛ فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، ولا فضل لغالب على مغلوب ، ولا لقوى على ضعيف ، بل إن القوة توجب حقوقاً على القوى ، ويعفى منها الضعيف ؛ فالضعف ينقص من الواجبات ولا ينقص من الحقوق ، والقوة تضاعف الواجبات ، ولا تضاعف الحقوق ، حتى لقد ساغ المنصفين من الأوربيين أو لغير المشتطين منهم أن يقول فى إصرار : « إن العالم لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب » لأنهم فى إبّان فتحهم كانوا يحكمون بشريعة القرآن التى تسوى بين الناس فى الحقوق والواجبات ، بل تنطق بالقرآن الكريم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فالغالب والمغلوب سواء ما دامت كلمة الله هى العليا ، والمهزوم والمنتصر سواء ما دامت شريعة الله هى الحاكمة ، فلم يقل الإسلام مقالة زعماء المتمدينين بمدينة هذه الأيام « ويل للمغلوب » بل قال فى سماحة العزة ، وقوة الرحيم : « فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » وقال : « إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » وقال لرسوله الأمين : « واصفح الصفح الجميل » وقال : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقال الرسول الكريم عندما هزم قريشاً الذين أرادوا قتله

وآذوه أبلغ الإيذاء : « إذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » .

٣ — تلك هي العدالة المطلقة التي تحققت في الوجود يوم أن طبق المسلمون شريعة القرآن الكريم ؛ ولكن لما هجرها المسلمون ، وأقاموا بعض القرآن ،وأهملوا بعضه « وجعلوا القرآن عضين » وأخذوه متفرقاً ، ولم يأخذوه كلا لايقبل التجزئة ، وحكما عاماً لايقبل التخصيص ؛ وشرعا عادلا لايقبل التفرق . لما فعلوا ذلك آلوا إلى ذلك المآل ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

إن شريعة القرآن هي صفوة شرائع النبيين ، فيها لب الشرائع السماوية السابقة كلها ؛ فمن هجرها فقد هجر الشرائع السماوية كلها ، ومن اتبعها فقد اتبع شرائع النبيين أجمعين ، فلو كان سيدنا موسى حياً لا تبعها ، وهو الذي نزلت عليه التوراة . فلقد قال الله تعالى : « قل ما كنت بدعاً من الرسل » ، وقال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ، ويهدي إليه من ينيب ، وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم ، وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب » .

٤ — فشريعة القرآن بهذا النص المبين هي شريعة النبيين ، أو هي صفوة ما نزلت به الشرائع السماوية ، وليس القرآن وحده هو الذي صرح بذلك ، بل إن المتتبع لنصوص الكتب السابقة حتى التي بين أيدي أهل الكتاب في هذه الأيام ليجد فيها أحكاما كثيرة مما يستنكره المتمدينون اليوم على الإسلام ؛ ففي التوراة النص على رجم الزاني والزانية ، ولم ينكر السيد المسيح عليه السلام حكم الرجم ، ولكن اشترط أن يتولى الرجم من لايرتكب هذه الخطيئة ؛ فإذا كان بعض الغربيين قد رمى الشريعة الإسلامية بأنها لاتتفق مع المدنية لأنها تشتمل على الحدود ، فليعرف أولئك موضع أديانهم من تلك المدنية ؛ أو بعبارة أدق وأسلم ، ليعرفوا موضعهم من دينهم ، وأنهم إذ يثيرون القالة حول الإسلام في هذا إنما يثيرونها على الشرائع السماوية كلها ، فقد أقرت كلها الحدود ، وهذا الربا قد حرمته التوراة بصريح اللفظ ، وحرمته النصرانية ؛ لأنه لانص يبيحه ، وأن ماجاء في كتب العهد القديم متسع ما لم يكن في كتب العهد الجديد ما يخالفه ، وليس ثمة نص قط يخالف تحريم الربا في التوراة ، وأنه تحريم قاطع لاريب فيه في التوراة ، فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح الثالث والعشرين ما نصه :

« لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة ، أو ربا طعام ، أو ربا شيء مما يقرض بربا » .

هذا نص كما ترى صريح في تحريم الربا ، وهو متبع عند اليهود ، ولازم الاتباع عند النصارى ، فمن أباح الربا فقد خرج على الديانتين ، وأطرح الملتين ، وكان أمره فرطا .

فإذا دعونا إلى تحريم الربا ، واتباع ما جاء به الإسلام ، وقلنا مقالة القرآن : « وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون » فإنما ندعو إلى اتباع الشرائع السماوية كلها ، ومن حارب ذلك وأيد بقاء الربا فقد خلع الربقة ، وتجاوز الحد ، وخرج على الأديان كلها .

٥ — إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأت ببدع من الأحكام إلا ما يكون كما لا يتفق مع كمال الإنسانية .

والشريعة الإسلامية بالنسبة لأخواتها شرائع السماء هي خطوة بالإنسان نحو الكمال ، بعد أن علت مداركه ، وانتفع الأخلاف بتجارب الأسلاف ، وصار للفكر منهاج يكشف به مغالق الكون ، ويفتح به كنوز الأرض وما حوت .

ولكن الناس مع تقدمهم العقلي في هذه الأيام التي هجروا فيها الأديان قد تخلفوا في الأخلاق وهجروا كل المعاني النفسية العالية التي جاءت بها الأديان السماوية . فالعالم الغربي ، وقد سرت عدواه إلى الأمم الإسلامية قد غلبت عليه المادة ، وغلبت معها عليه الشقوة ، وإذا كان قد سار فيها إلى أبعد ما وصل إليه العقل من غايات ، فقد انحدر من أخلاقه إلى هاوية ما لها من قرار ، ولا سبيل لأن يرتفع من هذه الهاوية إلا بالدين ؛ فالدين وحده هو الذي ينجيه من هذه الكبوة ، وهو ملاك الأمر كله .

٦ — إن بعض المسلمين يثيرون عجاجة من الغبار حول الأحكام الشرعية ، فيستكثرون الحدود الشرعية ، ويعتبرونها عقوبة قاسية ، قد كانت تصلح في الماضي ، ولا تصلح في الحاضر ، وقد وضعت لنفوس قاسية غير مدركة ، والآن قد علت النفوس ، وأرهفت المدارك ، فلا سبيل لعقاب قاس تنفر منه الطباع الإنسانية ، وتنبو عنه الأذواق السليمة وهم في ذلك يقلدون الأوروبيين ، ويحذون حذوهم ، حذو القذة بالقذة .

وإنا نقول لهؤلاء أمرين :

(أحدهما) : أنكم ومعكم الأوربيون وإخوانهم في العالم الجديد قد هجرتم الأديان هجراً غير جميل ، فتلك العقوبات منصوص عليها في التوراة وصدق عليها الإنجيل ، وجاء بها القرآن ، فإذا كان المسيحيون واليهود قد تركوا تلك الأحكام ، فقد آمنوا ببعض كتابهم ، وكفروا ببعض ، وأنتم كذلك ، وما لمسلم حقاً ، ولا لمسيحي حقاً أن يرضى بذلك .

(ثانيهما) : أن المدارك البشرية إذا كانت قد علت ، وصارت هذه العقوبات القاسية غير صالحة لها ؛ فإن مصداق ذلك ألا توجد أسبابها ، فلا توجد السرقة التى أوجبت عقوبتها ، ولا يوجد الزنا الذى أوجب عقوبته . . . وهكذا . ولكن الجرائم ما زالت قائمة ، وقد تعددت أسبابها ، وتفتحت أبوابها ، وتفننت العقول فى طرائقها ؛ وصارت المدن الأمريكية والأوربية مكاناً للفسق والفجور ، لا يأمن الشخص فيها على ماله ، وصارت العصابات السارقة ذات شوكة وقوة يتملقها أصحاب رءوس الأموال ، ويدفعون لها الإتاوات طوعاً أو كرهاً . فكثرة أسباب العقوبة دليل على الحاجة إليها ، وعدم الردع فى العقوبات الحاضرة دليل على الحاجة إلى العقوبات السابقة ، ثم هذه الكثرة دليل على أن النفوس الآن لم تسم عن نفوس السابقين ، وإن كانت العقول أوسع تفكيراً ، فالعقل وحده من غير خلق كريم يسيره ، وهداية إلهية تعمر القلوب بالإيمان وتهديها إلى الفضيلة ، وتربى فيها نوازع الخير ، وتعلو إلى السماء قد يكون أداة تدمير ، وإن كان فى الأصل قد خلقه رب العالمين للبناء ، ولكنه لا يبنى من غير محرك من دين يهدى إلى صراط مستقيم : فى الأخلاق والمعاملات الإنسانية بين الآحاد والدول ، والعدل بين القوى والضعيف ؛ وإن لم يفعلوا فإن قانون الغابة وهو قانون الظفر والناب هو الذى يحكم العالم ويسيطر ؛ حتى يهيىء الله لهذه الدنيا هادياً منهم يرجعهم إلى الهدى السماوى ، وبذلك تمتلىء الدنيا حقاً وعدلا ، كما ملئت الآن جوراً وظلماً .

إن الذين يدعون إلى شريعة القرآن إنما يدعون إلى شريعة الديان ، ويدعون العالم الذى تلقى رسالات النبيين إلى الرجوع الدين ؛ لأن فيه النجاة ، ولأن فيه السعادة ولأن فيه العزاء فى وسط ذلك العالم اللاغب ، ووسط ذلك المعترك الصاخب .

٧ — لقد دعونا وندعو إلى تحريم الربا فى المعاملات الإنسانية ، لا نأكله ولا نؤكله ، فنادى منا ناس من المسلمين — ولعل بعضهم من المؤمنين — بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وقالوا إن فى تحريم الربا انهياراً اقتصادياً ؛ وهدماً وخراباً .

ونحن نقول إن الذين نظموا الربا وجعلوه أساساً للتعامل قد أخذوا يتحللون منه وإنهم فى سبيل أن يتركوه ، وكثير منهم تركه ، وكلهم قد آمن بأنه ليس الطريقة المثلى لا فى المادة ولا فى الأخلاق لتنظيم الثروة وتنمية الإنتاج ، فإن الإنتاج لا ينمو ولا يتقدم إلا بالتوزيع العادل بين العمل ورأس المال ، ولم يقل أحد إن فى الربا توزيعاً عادلا بين العمل ورأس المال . إن التوزيع العادل لا يسوغ أن يكون لصاحب رأس المال كسب

لم يعمل فيه شيئاً قط ؛ وكسباً رخيصاً لم يتعرض فيه الكاسب لخسارة ، فله الغنم المطلق وقد يكون للعامل الغرم المطلق .

٨ — تلك دعوتنا ندعو إليها بدعاية الله سبحانه وتعالى فى كل الأديان ، لا فى شريعة القرآن وحدها ، ولقد قيل لنا إن الأوربيين يعتبرون ذلك قصوراً ونكوصاً فى النظم الاقتصادية ، فنقول لهم هذا نص التوراة قد نقلناه يلوح بين يدى القارىء قاطعاً لا مجال للريب فيه ، فهل إذا دعوناهم إلى ما فى دينهم يكون ذلك قصوراً ونكوصاً . إنه الحق أيها الناس فاتبعوه ونحن ندعو إلى أمر مقرر فى الشرائع السماوية كلها ، وليس لأحد أن يعيب الإسلام أو الشرائع السماوية به ، إنما العيب فى الأهواء وفى العقول وفى الأعمال ، إنما العيب فيمن أركسوا فى الهوى ومخالفة الأديان السماوية كلها ، إنما العيب فى ألا يقوم العدل فى توزيع الإنتاج بين العمل ورأس المال ، هذا هو العيب حقاً وصدقاً .

٩ — إن على كل مسلم أن يعمل بشريعة القرآن ، وعلى كل عالم بها أن يدعو إليها ويستمسك بأحكامها كاملة غير منقوصة ، وألا يخضعها لأحكام الزمان ، بل يخضع لها الزمان ، وليأخذ بقوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . وقوله تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » وقوله تعالى لنبيه الكريم : « فلذلك فادع واستقم كما أُمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير » .

قال رجل لأبى هريرة : أريد أن أطلب العلم وأخاف أن أضيّعه .

قال : كفاك بترك طلب العلم إضاعة له .

العصبية الإسلامية فوق العصبيات

لأبي نعمان المهاجر

(١)

يحلو لبعض الناس ـ مجاراة لتيارات العصر ـ أن يتكلف لشريعة الإسلام ما ليس فيها ، وأن ينسب إليها من النظريات والنزعات ما قد يكون مناقضا لأصولها الأساسية مناقضة صريحة .

ولقد يحدث أحيانا أن يزعم زاعم بأن الإسلام يقر المسلمين على الاستناد إلى الروابط العنصرية ليضاعفوا قوة الشوكة ، ويوقدوا حرارة الحمية . وإن الإسلام ليبرأ من ذلك أشد البراءة ، إذ هو إنما ظهر بمناهضة العصبية العرقية الجاهلية وأثار عليها حرباً مقدسة ، ومحاها وألغاها ، واستبدل بها الإخاء الإسلامي العالمي الذي لا يدع فرقا بين الجنسيات والعنصريات ، ولا يفضل أحداً على أحد إلا بالتقوى ، وهـذا أمر كان يعتبر في الأمور المعلومة من الدين بالضرورة . ولقد كان أبرز حادث في تاريخ النبوة المحمدية هو حادث الهجرة ، وهو نفسه الرمز الأعلى إلى أن الإسلام فوق العصبيات وفوق العنصريات ؛ فقد هاجر محمد عليه الصلاة والسلام من وطنه ومن قبيلته وعشيرته ، وذهب إلى « يثرب » حيث يعيش في قوم لا تربط بينه وبينهم غير عاطفة الإسلام وشرعه وميثاقه ، ولـكنهم مع ذلك صاروا أملك له عليه الصلاة والسلام وأقرب إليه من أعمامه وعشيرته وأبناء قومه الأقربين ، بل لقد ذهبت به روح الجامعة الإسلامية إلى ما هو أبعد من ذلك فخرج بأمر الله سبحانه في كتيبة « يثرب » ليقاتل بها قبيلته التي كان فيها يومئذ بعض أعمامه وذوي قرباه ، . . والتقى الجمعان في « بدر » وانـكشف إذ ذاك الفرق بين كتيبة الإسلام التي غذتها النبوة بقدسها ، وروحانيتها ، وكتيبة القومية القرشية التي انساقت إلى هذه المعركة حائرة مذبذبة يكبر على طباعها وأمزجتها أن تقاتل محمداً والمهاجرين معه من قريش وهم يمتون إليهم بوشيجة القربى والدم . !

وظهر المهاجرون والأنصار يداً واحدة وروحاً واحدة يقاتلون في سبيل الله كأنهم بنيان مرصـوص ، قد وهبوا لله أرواحهم وأموالهم ، وتولهت قلوبهم بحبه والهيام به حتى انمحى منها حب الآباء والأبناء والإخوان والأقرباء ، ولقد كان الواحد

منهم يحمل سيفه على أبيه أو أخيه ، لا تعطفه عليه رحم ولا تأخذه فيه لومة لائم ، لأن حرارة العقيدة الجديدة كانت من القوة والإعجاز بحيث استطاعت أن تحدث انقلاباً فى الطباع والأمزجة ، وتتحكم فيها ، وتسيطر عليها ، حتى لكأنما خلقتها خلقا ثانياً ، وكأنما أصبح الرجل من أبطال الإسلام ، وهو لا ينتسب إلى أبيه ولا أمه ، بل ينتسب إلى نبوّة الإسلام . . إلى وطنية السماء . . إلى روح الله .

وهذا كتاب الله يعلن مشيئة الله الصارمة فى هذا الأمر الجليل : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » .

فالقرآن الكريم ينفى بصورة قاطعة إمكان اجتماع الإيمان به عزّ وجل والموادة لأعدائه ، ولو كان هؤلاء الأعداء آباء المؤمن أو إخوانه أو عشيرته ، ثم يعلل ذلك بعلته النفسية الرائعة ؛ وهى قوله عز وجل : « أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان » ذلك لأن الإيمان الحق بالله ، يعنى استشعار عظمته ، وألوهيته ، وكونه الخالق المبدع لكل لحظة من حياة الإنسان ، وكل خلية من جسمه وقطرة من دمه ، فهو المالك لخلجات الروح ، وهو المهيمن على خطرات الفكر ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، وعند أن تبلغ روح المؤمن إلى هذه الغاية التى أرادها الله عليها من الإيمان واليقين تصبح وقتئذ قادرة على الانصرام عن كل وشيجة من وشائج القربى والرحم ، إذا كان فى هذه الوشيجة ما يحول بينها وبين الألوهية القاهرة المهيمنة .

إن يد الله التى تكتب فى قلب المؤمن حقيقة الكون الكبرى ، لا تدع فيه مكانا لغير هذه الحقيقة ! . . .

« أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه » ، وبعد أن يكتب الإيمان بالحقيقة الكونية الكبرى فى قلوب المؤمنين يتلطف بهذه القلوب التى تحمل كلمة الله العلياء وتنوء بأعباء القضية الكونية الكبرى فيؤيدها بروح منه تنهض بهذا العبء الكونى ، وتصبح خلفاء الله فى هذا العالم تتمم جماله ، وتزين مظهره ، وتفرغ فيه آخر صبغة لله من نور العقل الإنسانى المبدع ، فإذا آمن القلب بربه وتمكن فيه الشعور بالمسئولية الكونية وأيده على ذلك روح الله فغمره بفيضه السماوى أصبح من السهل عليه أن يتخلى عن عاطفته نحو عشيرته وذويه ، بل أصبح ذلك أمراً طبيعياً فيه لا يكون مؤمنا إلا به : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » .

وهذه آية أخرى تشبه الآية السابقة ولكنها أشمل منها ، وأدل على الغرض الذى ينساق إليه الحديث ، قال الله سبحانه : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » . فالقرآن هنا يحدد علاقة المؤمن بعنصريته ووطنه وقومه ، فهو لا يمانع فى مطلق الحب لها إذا لم يكن فيها من حاد الله ورسوله ، ولكنه يحرم حبها فى حالة أخرى ، وهى فيما إذا كانت قد تعارضت مع الواجباب التى يقتضيها حب الله ، أو صارت أحب إلى المسلم من الله ورسوله والجهاد فى سبيله ؛ وحينئذ يصبح الحب لها إثماً ، ويصير صاحب هذا الحب آثما فاسقاً معرضا لغضب الله ونقمته ووعيده : « فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .



نافخ الكير إن لم يحرقك بناره آذاك بشراره .

« أبو مدين »

مجتمع عالمى

للأستاذ سيد قطب

(١)

المجتمع الإسلامى مجتمع عالمى ، بمعنى أنه مجتمع غير عنصرى ولا قومى ولا قائم على الحدود الجغرافية ، فهو مجتمع مفتوح لجميع بنى الإنسان ، دون نظر إلى جنس أو لون أو لغة ، بل دون نظر إلى دين أو عقيدة .

إن الإسلام ينفى منذ اللحظة الأولى كل نعرة جنسية أو عنصرية ، فيرد البشرية كلها إلى أصل واحد ، ويقرر أن لافضل لجنس فيها على جنس ، ولا ميزة لعنصر فيها على عنصر ، وأن اختلاف الألوان واللغات لايدل على ميزة ولا أفضلية ، ولم يرد به إلا التعارف لا التناكر ، وأن هناك ميزاناً واحداً لتقدير الأفضلية ، هو تقوى الله وطاعته ، والعمل الصالح فى عباده .. وهى أمور شخصية لاعلاقة لها بالأجناس والألوان :

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ »[1] ... « لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى » .

وبذلك ينفى عن المجتمع الإسلامى فكرة التمييز العنصرى منذ اللحظة الأولى ، ويفتح أبوابه للبشر عامة على قدم المساواة الكاملة ، وعلى أساس الشعور الإنسانى الخالص وليس أكره للحس الإسلامى من ذلك التعصب الذى تثيره نعرة الجنس على طريقة النازى أو طريقة اليهود ، أو نعرة اللون على طريقة الأمريكان مع الهنود الحمر والزنوج ، أو طريقة أفريقيا الجنوبية مع الملونين عامة .

ومن ثم تملك جميع الأجناس البشرية ، وجميع الألوان ، وجميع اللغات أن تجتمع فى حمى الإسلام ، وفى ظل نظامه الاجتماعى ، وهى تحس آصرة واحدة تربط بينها جميعا ، آصرة الإنسانية ، التى لا تفرق بين أسود وأبيض ، ولا بين شمالى

(١) الحجرات : ١٣

وجنوبى ، ولا بين شرقى وغربى ، لأنهم جميعاً يلتقون عند الرابطة الإنسانية الكبرى :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً »(١) ... « ليس مِنَّا من دعا إلى عَصَبيَّة ، وليسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبيَّة ، وليسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصبيَّة »(٢)

وتبعاً لإزالة حواجز الجنس واللون واللغة ... يزيل الإسلام تلك الحواجز الجغرافية التى تقوم بين شعوب الأرض ، وتخلق ذلك الشعور القومى الحاد ، وتعمل بذلك على خلق المنافسة الخطرة بين القوميات المتباينة ، وتؤدى فى النهاية إلى التكالب الاستعمارى ، الذى هو فى صميمه استغلال أمَّة لأمة ، أو جنس لجنس ، أو وطن لوطن .

وبديهى أن الدافع الأول للصراع الاستعمارى فى العصر الحديث كان هو شعور القومية الحاد ، المتميز وراء تلك الحدود الإقليمية ، ورغبة كل دولة فى أن تجد للشعب المنعزل الذى تمثله مجالا حيوياً لاستمداد الخامات والموارد البشرية ، ولتصريف المنتجات والغلات الفائضة .

وبديهى أن الحروب الحديثة كلها قد قامت على هذا الأساس ، وأن الشر الذى أصاب البشرية فى الحربين الماضيتين ، والذى يوشك أن يدمرها فى الحرب المقبلة ... كله قد نشأ من ذلك الشعور القومى الحاد ، ومن ضعف الروح العالمية والروح الإنسانية .

نعم إن الماركسية — على طريقتها فى التفسير المادى للتاريخ وما يتبعه من التفسير الاقتصادى — ترجع فكرة الاستعمار إلى الرأسمالية وحدها ، وتعد الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية(٣) ، وتقرر أن الاستعمار يعنى الحرب ، ولكن الذى يجرد نفسه من تلك النظرة التعسفية القائمة على تحكيم نظرية خاصة فى واقع الحياة ، لا على استمداد النظرية من الواقع .. يرى أن الرأسمالية وحدها لا تكفى لقيام نظام الاستعمار لو كان الناس لا يدينون بفكرة القومية الضيقة . وكل ما كانت تستطيع الرأسمالية أن تنشئه فى هذه الحالة هو استغلال طبقة لحساب طبقة . وهذا وضع آخر غير الوضع الاستعمارى المعروف ، الذى هو فى صميمه استغلال رقعة من الأرض بما فيها ومن فيها لحساب رقعة أخرى ، لاختلاف الراية القومية التى تستظلان بها .

إن دعوى الماركسية أن الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية هى دعوى مستمدة من العالم الذى تسود فيه فكرة العصبية القومية ، لا فكرة الأخوة العالمية ، والنظام

(١) النساء : ١ (٢) أخرجه أبو داود (٣) عنوان كتاب للينين .

الإسلامى يحطم النظام الاستعمارى بتحطيم العصبية القومية . أما الاستغلال الطبقى فيحطمه بوسيلة أخرى ، موعدنا بها فى موضعها فى مقال آخر .

إن الإسلام لا يعرف تلك الحدود الإقليمية ، كما أنه لا يعرف حدود الأجناس والألوان فالأرض لله جميعا ، وقد خلقها بما فيها لهذا المخلوق الإنسانى : « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ».. والجنس البشرى كله مستخلف فى هذه الأرض لعمارتها وإنمائها واستغلال كنوزها ، والناس كلهم إخوة ، لا ينالون رحمة الله وعونه ما لم يتراحموا بينهم ، ويتعاونوا على العمل الصالح ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ارحموا أهل الأرض يرحمكم من فى السماء » بدون تخصيص لجنس ولا عنصر ، بل بدون تخصيص لأتباعه المسلمين .

ومن ثم فالاستعمار والحرب الاستعمارية لا مجال لهما فى التفكير الإسلامى ، لأن البشر فى عُرف الإسلام أمة واحدة ، فلا معنى لاستغلال جنس من الأجناس ، أو وطن من الأوطان لحساب الجنس الآخر ، أو الوطن الآخر . إن مثل هذا التفكير يبدو مضحكا أو مقززاً فى التقدير الإسلامى (وسنرى فيما بعد أن الحروب الإسلامية كانت لها أسباب غير هذه الأسباب) .

وحين يزيل الإسلام تلك الحواجز الجغرافية أو العنصرية التى تقوم عليها فكرة الوطن القومى ؛ فإنه لا يلغى فكرة الوطن على الإطلاق . أنه يبقى على المعنى الطيب وحده لهذه الفكرة : معنى التجمع والتآخى والتعاون والنظام ، ومعنى الهدف المشترك الذى تلتقى عليه الجماعة من الناس ، فيجعل الوطن فكرة فى الشعور لا رقعة من الأرض . هذه الفكرة يجتمع فى ظلها الناس من كل جنس ولون وأرض ؛ فإذا هم أبناء وطن واحد ، وإذا هم إخوة فى الله ، وإذا هم متعاونون على ما فيه خيرهم وخير البشرية جمعاء... تلك الفكرة هى الإسلام : « إنما المؤمنون إخوة[1] » ... « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا[2] » ... « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[3] » .

إن فكرة الإسلام هنا تقوم مقام فكرة الوطن فى معناها الطيب ، الذى لا ينشأ عنه حب استغلال رقعة من الأرض لحساب رقعة أخرى ، ولا فكرة استغلال طائفة من البشر لحساب طائفة أخرى . وكل ما ينشأ عنها هو الشعور بأن كل أرض يظللها الإسلام هى وطن للجميع ، وكل مسلم على ظهر الأرض هو مواطن المسلمين جميعاً .

(١) الحجرات : ١٠ (٢) أخرجه الشيخان . (٣) أخرجه الشيخان

وما من شك أن التزاحم على فكرة لا ينشىء شيئاً من الشر الذى ينشئه التزاحم على مصلحة ، وأن الرغبة فى نشر فكرة لا تنشىء شيئاً من الشر الذى تنشئه الرغبة فى نشر نفوذ ، بقصد الاستغلال الذى يسمونه الاستعمار !

***

هنا تعرض شبهة ... أليس الإسلام يقيم عصبية مكان عصبية ؟ أليس يحطم التعصب العنصرى والتعصب القومى لينشىء فى مكانهما تعصباً دينياً ، قد يكون أخطر على الإخاء البشرى من عصبية الجنس وعصبية الوطن ؟ ألم تذق البشرية من ويلات التعصب الدينى قديماً فى الحروب الصليبية وحديثاً فى المذابح الهندية ما يعدل شرور الحروب العنصرية والحروب الاستعمارية ؟

والذين لا يعرفون الإسلام على حقيقته قد يكون لهم العذر فى أن يقيموا لهذه الشبهة وزناً . ولا سيما الغربيون الذين شوهت حملات الصليبيين فكرتهم عن الإسلام ، ولم يتم تصحيح هذه الفكرة لهم حتى الآن . لذلك نراها جديرة بشىء من البيان .

إن الإسلام ينادى بنفسه رسالة عالمية للبشر كافة ، فلم يجىء محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لقريش ولا لعرب الجزيرة ، ولا للجنس السامى — كما جاء المسيح عليه السلام لهداية خراف بنى إسرائيل الضالة كما قال — إنما أرسل محمد إلى البشر كافة فى أقطار الأرض جميعاً : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً »(١)

والإسلام يعد نفسه خيراً وبركة ورحمة للناس جميعاً : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ »(٢) « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »(٣) ، وتبعاً لنظرة الإسلام الإنسانية ، فإنه يريد للبشرية كلها أن تنعم بخيره ورحمته وهدايته ، ولا يريد أن يكون هذا كله وقفاً على قوم أو جنس ، على طريقة اليهودية مثلا !

ولكنه فى الوقت ذاته لا يحاول أن يقسر الناس قسراً على اتباعه : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ »(٤) . وكل ما يريده هو أن تترك له حرية الدعوة بين أهل الأرض جميعاً ، كى يصلهم بالخير المطلق الذى جاء به ، والذى لا يجعله وقفاً على أحد ولا حكراً لأحد ، وأن تكفل لأتباعه حرية العقيدة ، فلا يفتنوا عن دينهم بالقوة ، ولا يضاروا فى أنفسهم أو أموالهم ، وأن تتاح له القوة اللازمة لحمايتهم من

(١) سبأ : ٢٨
(٢) الأنبياء : ١٠٦
(٣) الإسراء : ٩
(٤) البقرة : ٢٥٦

هذا كله ، ثم لتنفيذ شريعته بينهم ، لأنه لا بد للقانون من قوة تكفل احترامه ، وتحقق النظام الاجتماعى الذى يقوم عليه بجانب الوازع النفسى والتهذيب الخلقى . . وكل هذا يقتضى نوعا من التنظيم لأتباعه ورابطة معينة يقوم عليها هذا التنظيم . . ومن هنا يقرر الأخوة الإسلامية ، التى تقوم مقام الجنس ، ومقام الوطن ، بل مقام الدم ومقام النسب : « لاَ تَجِدُ قَوماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَه وَلَوْ كانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهمْ أَوْ عَشِيرَتهم »(١) ...

« قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ، وَأَبْنَاؤُكُمْ ، وَإِخْوَانكُمْ ، وَأَزْوَاجُكُمْ ، وَعَشِيرَتكُمْ ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُوله ، وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فتربصوا حَتى يَأْتِىَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَيَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِين »(٢) .

« إنّ من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى . قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابّوا بروح الله بينهم على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها . فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس(٣) » .

على أن المهمة التى ناط الله بها الأمة المسلمة ، ليست هى مجرد هداية الناس إلى الخير الذى جاء به الإسلام وحماية العقيدة الإسلامية وأصحابها ؛ إنما هى أكبر من ذلك وأشمل .. إنها كذلك حماية حرية العبادة والاعتقاد للناس جميعاً ، واستبعاد عنصر القوة المادية من ميدان الاعتقاد والعقيدة ، وحماية الضعفاء من الناس من عسف الأقوياء ، ودفع الظلم أيا كان موقعه وأيا كان الواقع عليه ، وكفالة القسط والعدل للبشرية كافة ، ومقاومة الشر والفساد فى الأرض بحكم الوصاية الرشيدة التى ناطها الله بهذه الأمة إذ يقول :

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرجتْ للناسِ ، تَأْمُرون بالمَعْرُوفِ ، وَتنهوْن عن المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ(٤) » . « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً(٥) » .

---

(١) المجادلة : ٢٢ . (٢) التوبة : ٢٤ . (٣) أخرجه أبو داود .
(٤) آل عمران : ١١٠ . (٥) البقرة : ١٤٣ .

وكذلك نرى أن المهمة التي ناطها الله بالمسلمين ، والمشاق التي تعترض طريقهم لأداء تلك المهمة تقتضي ذلك التضامن المطلق على أساس الفكرة التي تجمعهم ، وتقوم منهم مقام الجنس والوطن والدم والنسب لأن عليهم واجباً أبعد وأكبر من هذه الصلات كلها مجتمعة .

هنالك عصبية إسلامية إذن . ولكنها عصبية على هـــذا المعنى وفي تلك الحدود . عصبية التضامن بين المسلمين جميعاً في الإخلاص لفكرة ، وعصبية التعاون فيما بينهم على إيصال الخير الذي تحمله هذه الفكرة للناس جميعاً ، الخير الذي جربوه في حياتهم الخاصة فانتفعوا به انتفاعاً عظيماً ... إيصاله إلى الناس جميعاً بالدعوة إليه بالحسنى :

« ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ وَالموعظَةِ الحَسَنَةِ ، وَجادِلْهم بالتي هي أحسنُ[1] »

وعلى إزالة الحواجز التعسفية من طريق هذه الدعوة . ومن هذه الحواجز الدولة التي تمنع رعاياها بالقوة من الاستماع إلى دعوة الإسلام ، أو تمنع الدعاة الإسلاميين بالقوة من نشر دعوتهم . ومن باب أولى حماية المسلمين أن يعتدي عليهم سواهم ، وحماية النظام الاجتماعي الإسلامي أن يخرج عليه أحد بالقوة .

وأخيراً لتحقيق العدالة الاجتماعية في الأرض كلها ، ودفع الظلم في أية صورة من صوره ، لا يهم أن يكون هذا الظلم واقعاً على مسلم أو غير مسلم ، واقعاً على فرد من فرد أو على أمة من فرد ، أو على أمة من أمة ... فالأمة المسلمة — كما أسلفنا — مكلفة دفع الظلم عن البشرية كافة لحساب البشرية كافة ، وبالنظرة الإنسانية الشاملة لا المذهبية الضيقة ، تحقيقاً لمعنى الرحمة العامة ، التي أرسل بها محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين ، وتحقيقاً للوصاية العامة التي ناطها الله بالمسلمين .

إنها ليست عصبية الكراهية للأجناس الأخرى . فالأمة المسلمة خليط من جميع الأجناس . ولا لأتباع دين معين ، لمجرد أنهم لا يعتنقون الإسلام . إنما هي عصبية الرغبة في اجتذاب البشرية كلها إلى الخير المشترك ـ بدون إكراه ـ وعصبية الرغبة في تحقيق العدل الكامل لكل فرد وكل شعب وكل جنس . حتى لو بقي هؤلاء جميعاً على دياناتهم بعد استماعهم لدعوة الإسلام . فمجرد كونهم آدميين يوجب على الأمة المسلمة أن تحميهم من الظلم في كل صورة من صوره ، وأن تقيهم الفساد في أي شكل من أشكاله .

ولمثل هذه الأغراض وحدها كانت الحروب الإسلامية التي انبعثت من روح الإسلام ، فإذا وقع في بعض الأحيان من بعض الجماعات الإسلامية أن كانت حربهم لغير هـــذه

(١) النحل : ١٢٥

الأهداف بأن تدخل عنصر الرغبة فى الاستغلال المادى ، أو عنصر الإكراه على الدخول فى الدين ، أو أى عنصر آخر غير ما أسلفنا ... فذلك انحراف عن مثل الإسلام وأهدافه يكرهه الإسلام ويكره أصحابه ولا يقرهم فيه على عمل ولا نية ... وقد كانت الأمثلة من هذا النوع قليلة على كل حال فى تاريخ المسلمين . ويحسن أن نستعرض هنا بعض النصوص من القرآن والسنة لبيان تلك المعانى التى أسلفنا .

إن الإسلام لم يشأ أن تكون وسيلته إلى حمل الناس على اعتناقه هى القهر والإكراه فى أية صورة من الصور . حتى القهر العقلى عن طريق المعجزة لم يكن وسيلة من وسائل الإسلام كما كان فى الديانات قبله ، من نحو الآيات التسع لموسى ، والكلام فى المهد وإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص لعيسى .. لقد شاء الإسلام أن يخاطب القوى المدركة فى الإنسان ، ويعتمد عليها فى الاقتناع بالشريعة والعقيدة . وذلك جرياً على نظرته الكلية فى احترام هذا الإنسان وتكريمه .

وتبعاً لهذه الفكرة لم يشأ — من باب أولى — أن يجعل القهر المادى وسيلة للاقناع ، أو لحمل الناس على اعتناقه بالإكراه ، ولم يضق ذرعاً باختلاف الناس فى المنهج والعقيدة ، بل اعتبر هذا ضرورة من ضرورات الفطرة ، وغرضا من أغراض الإرادة العليا فى الحياة والناس : « ولو شاء ربك لجعلَ الناسَ أمَّةً واحدةً ؛ ولا يزالون مختلفين إلا من رحِم ربُّك ، ولذلك خلقَهم (١) » ... « ولو شاء اللهُ لجعلكم أمَّة واحدة ، ولكن لِيبلوَكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيراتِ (٢) » .

ولكى يطامن من رغبة النبى صلى الله عليه وسلم فى حمل الناس على دينه ، ويهدىء من حماسة المسلمين فى تحقيق هذه الغاية يقرر القرآن الكريم أن إرادة الله لم تحتم أن يكون الناس جميعا من المؤمنين ، ويقرر أن لا إكراه لأحد ليكون من المسلمين .

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا . أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ؟ » (٣) . « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » (٤) .

فليست غاية المسلمين أن يكرهوا أحداً على اتباع الإسلام ، إنما كل غايتهم أن تترك لهم حرية الدعوة ، وأن تترك للناس حرية الاعتقاد ؛ فإذا تبين الرشد من الغى . فقد تركت الحرية للناس بعد هذا التبين ، وبطل الإكراه والقهر بنص القرآن . « يتبع »

(١) هود : ١١٨ ، ١١٩
(٢) المائدة : ٤٨
(٣) يونس : ٩٩
(٤) البقرة : ٢٥٦

من فقه القرآن والسنة

شروط البيع

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٢)

تكلمنا فى الكلمة السابقة عن الشرط الأول من الشروط التى يجب أن تتوفر فى العقد الصحيح ، وهو « ملكية المبيع » للبائع ، واليوم نتكلم عن الشرط الثانى وهو أن يكون المبيع موجودا تحت يده ليستطيع تسليمه المشترى ؛ ذلك أنه قد يكون المرء مالكا لما يريد بيعه ، إلا أنه لم يحزه بعد تحت يده ، أى أنه يريد أن يبيع ما اشتراه لآخر قبل قبضه ، فما الحكم الذى نأخذه من كتاب الله وسنة رسوله ؟ هنا نجد هذه الأحاديث :

١ — روى مالك عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يستوفيه » ، أو « حتى يقبضه » فى رواية أخرى (١)

٢ — روى مسلم عن ابن عباس عن الرسول أنه قال : « من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه » ، وقال ابن عباس : وأحسب كل شىء بمنزلة الطعام(٢) .

٣ — وروى أبو داود والدارقطنى أن النبى نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم(٣) .

ومن مجموع هذه الأحاديث ، نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بعدم بيع المالك للطعام وغيره — وقد اشتراه — حتى يقبضه ، دون تفصيل للقبض فيجب أن يحمل على كل ما يعتبره العرف قبضا وحيازة . ولهذا ، يرى الإمام ابن حجر أن النهى عن البيع قبل حيازة السلعة المشتراة إلى « الرحال » خرج مخرج الغالب المعتاد فلا يشترط ، بل يحكم العرف فيما يعتبر حيازة(٤) .

---

(١) موطأ مالك ، ج ٢ : ٦٣ . (٢) شرح مسلم للنووى ، ج ٤ : ١٠ .

(٣) نيل الأوطار للشوكانى ، ج ٥ : ١٥٧ .

(٤) فتح البارى ، ج ٤ : ٢٧٩

وقد يوجد من يرى فى بادىء الرأى أن فى ذلك تضييقا فى التجارة وتعسيراً فى المعاملات ، وبخاصة فى هذا العصر الذى نعيش فيه . فإن العرف التجارى فى هذه الأيام يجيز أن يشترى الإنسان مايريد . ثم يبيعه فوراً وهو جالس بمكتبه دون أن يراه ، بَلْهَ أن يقبضه !.

هذا موجود حقا ، وهذا نفسه هو ما يجرى فى البورصة كثيراً ، بل لعله هو الأساس فى أكثر عملياتها التجارية . ولكن ذلك ، على ما نعرف هو الذى شجع المضاربات فى أقوات البلد وعماد ثرواتها الزراعيـة ، وهو ماسبب خراب كثير من البيوت وضياع كثير من الثروات التى ذهبت وتذهب إلى جيوب نفر قليل من كبار التجار والمضاربين .

إننا نعتبر بحق أن نهى رسول الإسلام عن « بيع ما لم يقبض » ، هذه الكلمة التى لاتزال تقرع الأسماع منذ أربعة عشر قرنا ، يعتبر من معجزاته الخالدة . ولعل هذا الحكم التشريعى ومثله من الأحكام الصريحة النبوية ، هو ما دعا ابن رشد ــ فيلسوف الأندلس الأكبر ــ إلى اعتبار التشريعات الإسلامية أكبر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم .

إن اتباع هذا الحكم ، يجعل التاجر الكبير فى أمن من المخاطرة والخطر ، ويجعل من الميسور عمليا الحد من تكديس الأرباح الفاحشة فى جيوب نفر قليل من رجال البورصة ، مادام الواحد منهم سيجد نفسه مضطراً لأن لايشترى إلا مايستطيع دفع ثمنه وقبضه فقط .

ومهما يكن ، فما العلة أو السبب فى هـذا النهى ؟ لقد خفيت العلة عن طاوس حين روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع الرجل طعاما حتى يستوفيه أو يقبضه ، فقال لابن عباس . كيف ذاك ؟ قال : « ذاك دراهم بدراهم والطعام مُرْجأ » : أى مؤخر ، فيكون البيع الثانى قد دخله الربا .

ورواية الإمام مسلم تزيد هذا الفهم الذى فهمه ابن عباس وضوحا ، فقد جاء فيها أنه عندما سأل طاوس ابن عباس عن سبب هذ النهى قال له : ألا تراهم يتبايعون بالذهب والطعام مُرْجأ ! أى ، فإذا اشترى طعاما بمائة دينار ، ودفعها للبائع ولم يقبض الطعام ، ثم باع الطعام لآخر بمائة وعشرين دينارا وقبضها والطعام لا يزال بيد البائع الأول ، فكأنه باع مائة دينار بمائة وعشرين دينار ، فيكون الفرق ربا أخذه من غير عوض(١).

(١) انظر فتح البارى ، ج ٤ : ٢٧٨ ، وص ٢٧٦ . وراجع أيضا نيل الأوطار ، ج٥ : ١٦٠ .

هذا الفهم من ابن عباس ، وهذا المثال الذى يوضحه ، فهم مقبول بلا ريب فقد نظر فيه إلى الربا الذى حرمه الله بكل ألوانه وضروبه ما ظهر منها وما خفى . وربما كان هو الفهم الوحيد الذى يتبادر إلى الأذهان فى تلك الأيام التى لم تكن فيها التجارة قد اتسعت هذا الاتساع المشاهد الآن ، أو لم تكن المضاربات قد عرفت على الصورة التى نراها فى أيامنا هذه .

ومن ثم ، نرى أنه قد تكون علة النهى هى ما يكون فى هذه العمليات من الربا ، كما قد تكون العلة ما ذكرناه قبل من الحيلولة دون المضاربات الخطرة والإثراء الفاحش على حساب الغير ودون أن يتكلف المضارب دفع ثمن ما اشتراه ، كما أن العلة قد تكون هذا أو ذاك .

وإذا اعتبرنا أن العلة هى فقط ما فى هذه العمليات من الربا ، كان لنا أن نفهم أن الحالات التى هى مورد النهى كان البيع الثانى يتم فيها قبل أن تمر فترة طويلة على الشراء الأول ، وبهذا يكون فيها الربا أو شبهة القصد إليه على الأقل .

ولكن ، إذا مرت فترة طويلة بين العمليتين ، فترة يكون فيها المشترى الأول عرضة للكسب وللخسارة ، نرى أنه لا بأس من بيع ما اشتراه فى هذه الحالة قبل قبضه ، وذلك للتيقن حينئذ من انتفاء الربا وشبهته ، بل يكون الأمر تجارة بالمعنى المعروف والصحيح شرعا ، كما أنه فى هذه الحالة تنتفى أيضا فكرة المضاربة والقصد إليها على النحو المحرم المعروف بالبورصة .

ثم ، بعد ذلك كله ، ما هو « ما صدق » الطعام فى هذه الأحاديث ؟ وهل الحكم يصح تعديته إلى غير الطعام حتى بأوسع معانيه ؟ إنه مما لا ريب فيه أن « الطعام » الوارد بالأحاديث التى ذكرناها لا يقصد به فقط ما أُعدّ للأكل كالفواكه والتمر مثلا ، بل المراد به كل ما من شأنه أن يصير للأكل ولو بعد معالجة وإعداد كالحبوب ونحوها . وفى هذا ، يقول الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه :

الأمر المجتمع عليه عندنا[١] ، الذى لا اختلاف فيه ، أنه من اشترى طعاماً : بُرًّا أو شعيراً ، أو سُلْتاً أو ذرة أو دُخْناً ، أو شيئا من الحبوب القطنية ، مما تجب فيه الزكاة ، أو شيئا من الأُدُم كلها : الزيت والسمن والعسل والخل ، والجبن والشَّبْرَق واللبن ، وما أشبه ذلك من الأدم ، فإن المبتاع لا يبيع شيئاً من ذلك

(١) يريد عمل أهل المدينة ، وهو عنده أصل من أصول الفقه .

حتى يقبضه ويستوفيه »(١) .

ولكن ، إذا كان بيع الطعام قبل قبضه منهى عنه لما فى ذلك من الربا ، كما جاء فى تفسير ابن عباس لطاوس رضى الله عنهما كما رأينا ، فإننا نكاد لانفهم قصر الحكم على الطعام حتى بأوسع معانيه كما نقلناه عن إمام دار الهجرة .

ولهذا نرى ابن عباس يقول فى ذلك الحديث : « ولا أحسب كل شىء إلا مثله » ، أى مثل الطعام ؛ أو كما جاء فى رواية أخرى : « وأحسب كل شىء بمنزلة الطعام »(٢) .

وهذا ـ كما يقول العلامة ابن حجر العسقلانى ـ ، من تفقه ابن عباس ، والصحابى راوى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم يكون من أعرف الناس بمعناه . على أن هذا « التفقه » ، يؤيده الحديث الثالث الذى رويناه آنفاً ، وهو أن الرسول نهى أن تباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم ، فإن كلمة « السلع » هنا ، تعم كل مبيع ومشترى كما هو واضح(٣) ، وبهذا يعم تعليل النهى ويستقيم المنطق والقياس .

على أنه مع هذه الأحاديث التى رويناها ، ومع تعدية أبى حنيفة والشافعى هذا الحكم إلى كل مشترًى طعاما أو غيره ، نرى من الفقهاء من أجاز بيع كل شىء قبل قبضه ، حتى وإن كان طعاما ! ولا ريب أن هذا توسعة على الناس فى التجارة والمعاملات ولكن لاندرى كيف يفعل من ذهب إلى هذا الرأى بتلك الأحاديث ! .

إن هذه الأحاديث حجة واضحة قاطعة على من قال بذلك ، وهو عثمان البتى كما يقول القرطبى ؛ فإن النهى الوارد فيها يدل على التحريم ، وهذا ما يجعل العقد الثانى غير صحيح لأن الشرع لايأذن به(٤) .

وقد يقال إن من ذهب إلى هذا الرأى لم ير أن النهى فى الحديث للتحريم ، غير أن هذا الفهم يعارضه تماما ما رواه الإمام مسلم عن ابن عمر من أنهم كانوا يشترون الطعام

---

(١) الموطأ ، جـ ٢ : ٦٣ ـ ٦٤ . والبر ، القمح ، والسلت : ضرب من الشعير ليس له قشر كأنه الحنطة ، والدخن نبات حبه أملس يتغذى به وهو الجاورش بالفارسية ، والأدم والإدام مايؤتدم (يغمس) به ، والشبرق لم نصل لتحديد معناه ، والحبوب القطنية : حبوب الأرض أوماسوى الحنطة والشعير والزبيب والتمر ! أو الحبوب التى تطبخ كالعدس والفول ، وخضروات الصيف .

(٢) فتح البارى ، جـ ٤ : ٢٧٨ فى الأصل والشرح .

(٣) يقول ابن حجر إن أباحنيفة والشافعى عدّيا الحكم إلى كل مشترى ، إلا أن الأول استثنى العقار ومالا ينقل . فتح البارى ، جـ ٤ : ٢٧٨ ، وراجع أيضا فى هذا نيل الأوطار ، جـ ٥ : ١٥٨ ــ ١٥٩

(٤) فتح البارى ، جـ ٤ : ٢٧٨ ، نيل الأوطار ، جـ ٥ : ١٥٨ ، سبل السلام جـ ٣ : ٢١ ـ ٢٢ .

من الركبان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان يبعث عليهم من يمنعهم أن يبيعوه حيث اشتروه حتى ينقلوه حيث يباع الطعام [1] .

وإذاً يجب أن نفهم أن النهي يراد به التحريم وتقدير عدم جواز بيع الطعام قبل قبضه ، وغير الطعام مثل الطعام كما سلف القول ، وعلى ذلك جرى الناس في عهد الفاروق عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء ، حتى أثر عنه وعن مروان بن عبد الحكم أنهما ردا بيع من اشترى طعاما ثم باعه قبل أن يقبضه ، وردُّ المبيع كذلك دليل على عدم جواز العقد الثاني [2] .

« الحديث موصول »



استعمال الأصلح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً ، فولّىَ رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله » ومن رواية ثانية « فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين » .

« السياسة الشرعية » لابن تيمية

---

(١) فتح الباري ، ج ٤ : ٢٧٢ .

(٢) موطأ مالك ، ج ٢ : ٦٣ .

خاطرة

الفلج ياسعيد !!

كان يوماً جميلا حلواً فى كفر شبين القناطر ... وكانت زيارة عن موعدة وعدتها منذ سنين ، ثم حالت دون التلبية الحوائل ، إلى أن أذن الله أن أسعد برؤية إخوانها والحديث إلى أهلها ...

ونحن دعاة الإخوان لا ننتقل من بلد إلى بلد ، ومن قطر إلى قطر ، انتقالا مظهريا نصطنع له الشكل والزينة ، ولا نؤدى ذلك بتكليف إدارى نتكلف له جهداً ونجد له عناء ، بل إن أحدنا لايفعل ذلك وهو يقصد به « أولا » أن يسوق إلى الناس الخير ... ولكنه ينتقل حين ينتقل ، ويضرب فى الأرض حيث يأذن له الله ... ووازعه الحاضر حرص على مرضاة الله آخذ بروحه وفكره ، وضراعة إلى الله أن يكفر بخطواته ما لايعلمه الناس من سيئاته ، وشوق ملح إلى إخوة له فى الله أحبهم وأحبوه ، وعرف الحق الذى عرفوه ؛ فهم أسرة واحدة يجمعها نسب هذا الحق ، وجند جيش واحد يظلهم لواؤه المعقود ، وشركاء أمناء فى تجارة لن تبور ...

بهذا الحرص الكريم على مرضاة الله ، وبهذه العاطفة الحارة فى الله ، يخرج الأخ الداعية من بيته حين يخرج ... إلى البلدة القريبة أو النائية ، وهو — ونسأل الله الصدق — مشرق النية ، بيِّن الوجهة... مقبل على الناس من هذه الجهة المباركة فى نفسه الطيبة ، وإقباله حينئذ هو إقبال الحق الذى أخرجه من بيته ، وأثره فى الناس هو أثر العاطفة الحارة التى جاء بها ليرى إخوانه ... لايحدثه هو ... ومن هو ؟... إنما يحدثه النور الذى غمر هذه الجهة من نفسه ، والسر الذى سكنها وأطل منها ... إن الداعية إلى الله حين يسلم نفسه هكذا إلى الله فقد أسلمها للذى برأها وبرأ الناس ، وهو وحده القادر على أن يسوق إليها الخير ، وأن يسوقه بها إلى الناس .

***

ومضت خطبة الجمعة وصلاتها والحديث بعدها ، وخرجنا إلى دار واسعة حيث اجتمع مئات من إخوان المنطقة فى روحانية رقيقة غامرة ، وسأل بعضهم أسئلة أجبت عنها ، ثم قدم طعام الغداء « عيش وفول نابت » فكأنى والله ماطعمت طعاما أشهى منهما ... وحانت ساعة الوداع فأقبل الإخوان مصافحين ، واحداً واحدا ، حتى إذا جاء دور إخوان بلدة « الفلج » شد واحد منهم على يدى وقال : الفلج ياسعيد . يذكرني بزيارتها ، فسرت هاتان الكلمتان مسرى الكهرباء فى دمى ، ونفذتا كالسهم إلى حبة قلبى ... ولا يزال لهما فى نفسى رنين ... إنى أسمع فيهما الآن صوت عاطفة ملتهبة ، وغيرة على الدعوة صادقة ... ومن وحيها كانت هذه الخاطرة .

السياسات الاقتصادية فى الإسلام

للأستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بالباكستان

مقدمة :

يرزح العالم الحديث تحت أعباء جسام ، وينوء بحمل المدنية التى كادت أن تقصم ظهره . ولعل أبرز ظواهر الضعف الذى حل بالإنسان المتمدين هو تبلبل أفكار البشرية وانحلال المثل العليا وتضارب الآراء وتشعبها ، بل تنافرها حول معانى الخير والفضيلة وانقسامها فى تفهم الحلال والحرام ، والجائز والمستحيل والمستحب والمكروه ؛ حتى إنك لترى من الناس من يعتبر أن وجوده فى هذه الحياة الدنيا ليس إلا عبثاً من الطبيعة ، ومنهم من يراه اختياراً من الله وسابق قدر ، وكل فى نظر زميله صابئ نابٍ عن الصواب . ومن الناس من يعتقد أن النظم الاجتماعية — بما تشمله كلمة اجتماع من سياسة واقتصاد ودين وتقنين ونفسيات وأخلاق ومعاملات — إنما هى فرض مقدور أو قدر لازب لامحيص عنه ، وأن الإنسان عاجز عن أن يغير شيئاً منها ، ومنهم من يؤمن بأنها من خلق الناس وليس لله يد فيها ، وأن الدين ورجاله لم يعملوا إلا على إرضاء نزوات وشهوات واستعباد واستبداد .

وهكذا دواليك ترى من التباين فى التفكير والعقائد والآراء ما جعل هذه الدنيا معسكرات متطاحنة تشتد بينها العداوة والبغضاء وتستعر من أجلها الحروب وتسفك الدماء ، وكلما مرت على الناس حقبة من الزمن ازدادوا ضلالا وتباينا واختلافا حتى لقد لبس عليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يكسبون .

على أن أبلغ ما نطق به هذا التفاوت العجيب هو حق الناس فى الحياة المادية وتنظيم المعاملات المعيشية ، وما كان هذا الأمر ليحتل مكانه الخطير الذى احتله الآن إلا تبعاً لما ساد العقل البشرى من غرور ، وما تسلط عليه من وهم استبد بمنطقه ؛ فالحياة الدنيا كلها ليست إلا تفاعلات مادية ، والتاريخ عند فئة من الفلاسفة ليس إلا نتيجة لأوضاع اقتصادية ، وما يصدر عن النفس وما يجيش بالصدر وما يخطر على الفكر ليس إلا وسببها حاجة مادية أو شهوة حسية أو رغبة دنيوية ، وما كدح كادح إلا إرضاء لنزعة شخصية « مادية » . ثم تطورت هذه الفكرة المادية عند فلاسفة آخرين فزعموا — إن باطلا وإن حقا — أن هذه الرغبات المادية ليست فردية

ولكنها جماعية . ومن هنا ظهرت الرغبات الطبقية ، وظلت كل طائفة تعمل ما وسعها العمل وواتاها الجهد على أن تظل مصالحها الخاصة هى الغالبة المميزة ، ولا يتم هذا إلا بالانتقاص من مصالح غيرها من الطبقات ؛ فليس من الممكن أن تشبع رغبات الطبقات كلها فى وقت واحد ما دام الجهد البشرى محدودا وما دامت هبات الطبيعة محدودة .

من أجل هذا اعتقد البعض أن الأوضاع السياسية والاجتماعية التى ورثها الناس عن أجدادهم ليست إلا ضلالا مبيناً ومشيناً وعاراً فى جبين الضمير الإنسانى ، وخلطوا المذهب « المادى الفردى » بالمذهب « المادى التاريخى الماركسى » وكانت الفلسفة التى تنادى بإلغاء الملكيات الخاصة وعدم اعتبار أى عامل من عوامل الإنتاج مستحقا لجزاء من فائض الإنتاج اللهم إلا العمل . ومن ثم قدسوا العمل أيما تقديس وصار شعار الحياة لديهم ، وعادوا من لم يؤمن بفلسفتهم كل العداء .

ويقابل هذا المعسكر الثائر على الأوضاع المتوارثة أولئك الذين يؤمنون بالفرد كنواة للمجتمع ويعتقدون أن الحياة لا تنتظم إلا إذا تركت للفرد حريته التى يقره عليها القانون المتواضع عليه ، وأن الطبقات متكاملة المصالح ، وأن الإنتاج له عوامله المختلفة من طبيعة ورأس مال وعمل وتنظيم ، وأنه لا صلاح للدنيا مالم يعط كل ذى حق حقه وأن انتزاع عوامل الإنتاج كلها من بين يدى الأفراد وجعلها بين يدى المجموع — فى صورة الدولة أو الحكومة — تغرير بالشعب واستبداد بالرأى العام وتسفيه للحرية وحط لكرامة البشرية وإلغاء للاختيار الفردى .

وبين هذين الطرفين توجد فئات لا عداد لها من الداعين إلى مذاهب الإصلاح الاجتماعى يحاولون التوفيق بين المذهبين ويبتدعون من أجل ذلك مختلف الوسائل والأفكار .

على أننا نجد أن المذاهب القائمة كلها : المتطرف منها والمعتدل إنما تقوم على فلسفة واحدة تنبنى على أن الإنسان إنما هو « مادة مجردة عن كل شىء » ، ولم تعد المدرسة النفسية النمساوية فى بحثها فى علم الاقتصاد أن تقرر أن جميع أركان الحياة إنما هى أركان مادية بحتة ، وعلى هذا الأساس أخذ الفلاسفة المحدثون يشيدون صروحا من النظريات لا تلبث أن تهب عليها رياح الزمن حتى تدعها قاعا صفصفاً كأن لم تغن بالأمس

انصبت دراسة علم الاقتصاد على الجهود البشرية التى تشبع رغبات مادية ، وإنه وإن كان من المسلم به أن الأعمال المعنوية التى تشبع رغبات معينة (كمحاضرة الأستاذ أو مداواة الطبيب) هى أعمال اقتصادية فى الصميم مثلها مثل الخدمات التجارية وما شاكلها .

إلا أنه مفهوم أن هذه الأعمال والخدمات ليست مقصودة لذاتها ولكن لمادة وراءها فهى عند الاقتصاديين وإن كانت معنوية الوجود إلا أنها مادية النتائج ، وهى لا تؤدّى إلا بدافع مادى ولغاية مادية .

وثمت نقطة أخرى لها أهمية خطيرة فى الفلسفة الاقتصادية الحديثة سرت فى علم الاقتصاد مسراها فى سائر العلوم المعاصرة ، ونعنى بها التخصص العميق والابتعاد عن سائر المؤثرات والعلوم الأخرى . حتى لقد ذهب الأمر إلى حد أن كثيراً من الاقتصاديين أصحاب المدرسة التجريدية ممن يفرضون فى جدلياتهم وشرح نظرياتهم ما يسمى بالفرد الاقتصادى Gonis Fcornomc يعنون به ذلك الفرد الوهمى الذى لا يتأثر إلا بالمقومات الاقتصادية ، ولا يصدر عنه تصرف إلا بوحى اقتصادى بحت . ولقد تغالى العلماء فى التخصص — لا فى الاقتصاد وحده ولكن فى سائر ضروب المعرفة — حتى تباعدت الهوة بين مختلف المتخصصين ، وحتى صارت الظاهرة الواحدة ينظر إليها من عشرات الزوايا ؛ وإذا الفرد تائه بين ما ينعكس عليه من أشعة العلم المختلفة ، كل منها يريد السيطرة حتى لا يكاد يبقى لغيره أى وجود .

هذا التشعب العلمى فى دراسة نواحى الفرد البشرى أدى إلى تصدع ملحوظ فى معرفة الحقائق المجردة ، بل أدى إلى شطط فى الحقيقة العلمية الواحدة ، ذلك أن انصباب الدراسة الفنية على ناحية واحدة من نواحى الفرد باعتبار هذه الناحية قائمة بذاتها غير مؤثرة ولا متأثرة بغيرها ، إنكار صريح للواقع ومجافاة لأصول الفطرة وخروج على سنن الحياة ؛ إذ ما من متبصر فى الفرد إلا وجد أنه يتأثر فى كل أفعاله وضروب نشاطه بمختلف المؤثرات : القريب منها والبعيد ، فليس منا من يستطيع أن يعزل صباه عن شبابه ولا شبابه عن رجولته ، وليس منا من يستطيع أن يتصرف شراء أو بيعاً وهو بمعزل عن قواعد أخلاقه وتربيته وما تجيش به نفسه من مختلف الهواتف والنزعات ، بل ليس منا من يختار لنفسه مهنة يرتزق من ورائها ويتكسب إلا وقد استعرض قبل الاختيار من الاعتبارات الشتيته ما هو أبعد ما يكون عن الكسب والارتزاق .

هذان الاعتباران اللذان يسيطران على علم الاقتصاد الحديث من أقوى العوامل — بل أقواها — التى أدت إلى اضطراب حبله واختلال كثير من أموره ، فلا الإنسان مادة مجردة ولا هو منقسم فى ذاته إلى أقسام متمايزة يمكن التفريق بينها . وكل ما وصل إليه الاقتصاديون من نتائج إنما بنوه على هذين الفرضين الرئيسيين . ومن هنا يمكن أن تدرك أن علم الاقتصاد الحديث ما زال بعيداً عما يجب عليه العلم أن يكون ولئن كان فلاسفة العلوم الطبيعية قد تفطنوا إلى هذا الوضع فى السنين العشرة الأخيرة وحاولوا

جادين أن يصلوا بين مختلف البحوث ، إلا أن فلاسفة العلوم الاجتماعية ما زالوا يمعنون فى التخصص ويبتعد الواحدمنهم عن الآخر ، وما زلنا نسمع يوما بعد يوم عن الاقتصاد النفسى والاقتصاد العمالى والاقتصادالصناعى وغيرها ، وما زالت المصنفات العلمية تتوالى كل منها محاولا أن يسبق الآخر ضخامة وعمق بحث واستقلال فكرة .

الإسلامية :

أوردنا هذه المقدمة حتى يسهل علينا أن نتفهم الفلسفة التى قام عليها الاقتصاد الإسلامى ، وهى فى الحقيقة فلسفة مبنية على الفطرة ، متمشية مع منطق البديهية ومقتضيات الطبيعة ؛ فالإسلام يعتبر الفرد أولاً مركباً من روح ومادة ، فلا المادة وحدها بمستطيعة البقاء ، ولا الروح وحدها تقدر على المساهمة فى هذه الحياة الدنيا ، وهو من أجل ذلك يعالج المشاكل المادية مع علاجه للفرد باعتبارها جزءا لا يمكن انفصامه ولا النظر إليه مجرداً عن الروح . وليس يضيرنا فى هذا المقام أن الروح أمر مجهول الكنه مستور التكوين ، ولا أن الروح أمر مختلف عليه من حيث التفسير ، فليس يهمنا إلا أنه ما من مكابر مهما عتا يجرؤ على نكران وجود الروح أو على مدى أثرها فى حياة الناس .

هذه الروح معنى من المعانى يجب أن يحسب حسابه بجانب المادة ، والإنسان لايعيش فى مجال مادى مستقل عن مجال المعنى ، وهكذا يقر الإسلام مبدأ وجوب معالجة الإنسان فى نشاطه الدائب للحصول على إشباع رغباته وتحقيق إرادته بوصفه إنساناً مركباً من مادة وروح أو حس ومعنى .

والإسلام ثانياً يعتبر الفرد جزءا من كل لامعدى له من مخالطة الغير والاستعانة بهم. وهو يقر أن صالح الجماعة قد يتعارض مع صالح الفرد ويغلّب صالح المجموع بما لايدع مجالا لشك أو فسحة لريب ، وهو إذ يحد من حرية فردية أو يضع من قيود على تصرفات الأفراد إنما يراعى فى ذلك مصلحة المجموع . ولقد ذهب بعض فقهاء الإسلام إلى أنه يجيز قتل ثلث القرية إذا كان فى هذا حياة لثلثيها .

وهذه الناحية لها أهميتها الاقتصادية ؛ فالنشاط الاقتصادى الذى يقره علماء الاقتصاد الحديثون يتعارض مع النظرية الإسلامية تعارضاً صريحاً . خذ مثلا صانع الخمر وبائعها ، إن مثل هذا العمل يعتبر عملا اقتصادياً سليما فى نظر علم الاقتصاد ، فهو نشاط منصب على إنتاج مادة مطلوبة يحقق صاحبها لنفسه عن طريقها ربحاً ويشبع بها رغبة من يريد شرب الخمر وهو يأخذ نظير جهوده أجراً يقتضيه من الشاربين . مثل هذا العمل لا يقره

الإسلام ، لأنه كما قدمنا لا ينظر إلى عامل الربح الفردى ، ولأنه — كما سيجئ القول — لا يفرق بين علم وعلم حين يدرس النفس البشرية ، وهو ينظر إلى عملية بيع الخمر نظرة عميقة شاملة ويحللها التحليل الآتى :

ما دام القصد من بذل النشاط الاقتصادى — فى الإسلام طبعا — هو زيادة السعادة البشرية ، سواء أكانت هذه الزيادة ناتجة عن زيادة الإنتاج المادى أو الراحة النفسية .

وما دام الفرد لا يمكنه أن يعيش بمفرده بل هو محتاج أبداً إلى غيره ليتعاون معه وليتبادل وإياه إنتاجه .

وما دامت سعادة الفرد لا تصل إلى حدها الأمثل Optimum إلا فى مجموع متعاون متوافق يسير أفراده جميعاً نحو هذه الغاية .

وما دام إنتاج الخمر وبيعه للأفراد — فى مجتمع ما — لن يؤدى إلا إلى أمرين : زيادة فى دخل أحد الأفراد أو فى مكسبه المادى ، ثم سلب لأموال أفراد آخرين وتقليل من قدر سعادتهم المعيشية ، وبالتالى قلة فى مقدرتهم الإنتاجية تؤدى قطعاً إلى قلة فى الكسب وقلة تتبعها فى الاستهلاك .

من أجل هذا يحرم الإسلام الخمر الذى تحقق أن ضرره أكبر من نفعه ، وأن الخير الذى يعود منه على فرد واحد سيجر معه شراً مستطيراً على عشرات أو مئين من أفراد نفس المجتمع .

وبتعبير اقتصادى حديث أن مجموع المنفعة الاجتماعية التى تعود من صنع الخمر والاتجار فيها منفعة سلبية negativeSocial Utility The Aggregato So cialUtility

والإسلام ثالثا لا يتصور الاقتصاد ما لم تحكمه السياسة وتسنده الأخلاق ويحده القانون ويرتضيه الاجتماع ، وعموما يرى الإسلام الاقتصاد حلقة فى سلسلة الحياة البشرية . وهو من أجل هذا يربطه بغيره من العلوم بأواصر متينة . وحين يقرر الإسلام قواعده الرئيسية فى الحياة الاقتصادية نجده قد قرر كثيراً من قواعد العلوم الأخرى فى نفس الوقت

هذا الوضع الذى عابه كثير من المحدثين هو عندنا آية الإعجاز ، وكفى أن مؤسسة «روكفلر» جهدت فى هذا السبيل أضنى الجهد ولم تصل بعد إلى بسائط الأمور ، يشهد بذلك العالم الطبيعى الفيلسوف Alexis Karil ألكسيس كارل فى كتابه المشهور الرجل المجهول Man the unkunr وهذا الوضع ذاته هو الذى يفسر فشل العالم فى معالجة مشاكله المختلفة ، وهو الذى أدى بالمجتمع الإسلامى الصحيح أن يصل إلى ما وصل إليه فى أيامه الأولى .

(يتبع)

من القديم

فى الاسماعيلية

للإمام الشهيد حسن البنا

« فى هدوء الإسماعيلية الجميل ، ومن أبنائها المباركين البررة ، تكونت أول نواة لتشكيلات الإخوان المسلمين وشعبهم » .
حسن البنا

مع الأعيان :

كان أعيان الإسماعيلية فى هذا الوقت يمثلون فكرتين — على أثر ذلك الخلاف الدينى الذى أوجده خلاف المشايخ فى بعض الآراء — والحقيقة أنه كان للمعانى الشخصية والعائلية الأثر الكبير فى توجيه هذا الخلاف كما هى العادة فى المجتمع المصرى . وكان لا بد للموظف الذى ليس من أهل البلد أن يتصل بأعيانها وأن يغشى بيوتهم ، وقد انقسم الموظفون الذين يتصلون بهؤلاء الأعيان إلى معسكرين تقريباً ، كل ومن يتصل بهم ؛ ولكنى كنت أشعر أن طبيعة الدعوة الشاملة وهى دعوة إخاء ومودة تفرض على أن أتصل بالطرفين جميعاً ، وأن يكون هذا الاتصال فى وضوح وجلاء ؛ فكنت إذا دخلت بيت زعيم أحد الفريقين تعمدت أن أقول شيئاً عن منافسه فلان ، وأنه لا يضمر له إلا الخير ، ويذكره بالخير كذلك ، وأن من واجبهما أن يتعاونا على ما فيه مصلحة بلدهما ، وأن الإسلام يأمر بهذا ... إلى غير ذلك من أمثال هذه المعانى . وإذا سمعت من ينتقص أحد الفريقين فى منزل الآخر رددت عليه بأن من الخير أن يكون واسطة التوفيق ، وأن لا ينقل من الكلام إلا ما يعينه على ذلك ، وأنه لا ضرورة للتورط فى الغيبة وهى إثم كبير ، وهكذا . . . ولا شك أن هذا الكلام كله كان ينقل للطرف الثانى كما هى العادة فى البلد الصغير — مع الأسف — فيسر به . وبهذا الأسلوب استطعت أن أظفر بصداقة الطرفين واحترامهما جميعاً ، ولقد كان لهذا الأسلوب أثر فى اجتماع الطبقات المختلفة على دعوة الإخوان حين نشأت بعد ذلك .

الأندية :

كان فى الإسماعيلية فى ذلك الحين نادى العمال الذى أنشأته جمعية التعاون والذى مازال قائماً يؤدى رسالة طيبة فى محيط العمال الاجتماعى ، وكان فيه نخبة من الشباب المثقف ، الذى يريد أن يستمع ويتعلم ، وكان هناك كذلك فرع جمعية منع المسكرات تلقى فيه بعض المحاضرات والأحاديث المتعلقة بهذا الغرض . وقد انتهزت هذه الفرصة ، واتصلت بالناحيتين ، وأخذت ألقى بعض المحاضرات الدينية والاجتماعية والتاريخية التى كانت سبباً فى تهيئة نفوس كثير من المثقفين للدعوة المستقبلة .

عود إلى القاهرة :

ورغم الاهتمام الكامل بتدعيم الفكرة وتهيئة النفوس لها فى الإسماعيلية فإن ذلك لم يحل بينى وبين الاهتمام بسير التيار الإسلامى الضعيف — حينذاك — واتجاهاته فى القاهرة ، فكنت على صلة تامة بمجلة الفتح ، وكنت أعمل جاهداً على نشر الدعوة لها فى الإسماعيلية والإكثار من مشتركيها باعتبارها شعاع النور الأول الذى يسير العاملون للحركة الإسلامية فى ضوئه .

جمعية الشبان المسلمين :

كما كنت على صلة تامة بمجموعة الشباب التى تعرفت إليها فى القاهرة من قبل وتعاهدنا على العمل للدعوة الإسلامية العامة .

وكم كنت سعيداً فرحاً أشد الفرح حينما قرأت فى الجرائد صباح يوم من الأيام نبأ الاجتماع الأول لتكوين جمعية الشبان المسلمين — وفقها الله — واختيار المرحوم عبد الحميد بك سعيد رئيساً لها على أثر مجهودات هؤلاء الإخوة من الشباب المؤمن . وأذكر أننى كتبت تواً إلى عبد الحميد بك سعيد معلنا اشتراكى بالجمعية وواظبت على دفع الاشتراك ، وتابعت خطواتها وما طرأ عليها من تطورات وحوادث بكل اهتمام ، وألقيت أول محاضرة هامة لى فى القاهرة فى ناديها بشارع مجلس النواب ، وأظنها كانت بعنوان « بين حضارتين » وقد كنت ولا زلت أكن لرجالها المؤسسين والعاملين فيها كل تقدير لجهودهم الإسلامية القيمة ، ولا زلت أذكر منهم الدكتور يحيى الدرديرى ، والأستاذ محمود على فضلى ، والأستاذ محمد الغمراوى ، والسيد محب الدين الخطيب وغيرهم ، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

طريف :

ومن الطرائف أننا بعد أربعين يوما من نزولنا إلى الإسماعيلية ، لم نسترح فى الإقامة فى البنسيونات ، فعولنا على استئجار منزل خاص ، فكانت المصادفة أن نجد دوراً أعلى ، فى منزل استؤجر دوره الأوسط مجتمعاً لمجموعة من المواطنين المسيحيين ، اتخذوا منه نادياً وكنيسة ، ودوره الأسفل مجتمعاً لمجموعة من المواطنين اليهود ، اتخذوا منه نادياً وكنيساً ، وكنا نحن بالدور الأعلى نقيم الصلاة ، ونتخذ من هذا السكن مصلى ؛ فكأنما هذا المنزل يمثل الأديان الثلاثة . ولست أنسى « أم شالوم » سادنة الكنيس وهى تدعونا كل ليلة سبت ، لنضىء لها النور ونساعدها فى « توليع وابور الجاز » وكنا نداعبها بقولنا إلى متى تستخدمون هذه الحيل التى لا تنطلى على الله ؟ وإذا كان الله قد حرم عليكم النور والنار يوم السبت كما تدعون ، فهل حرم عليكم الانتفاع ، أو الرؤية ؟ فتعتذر ، وتنتهى المناقشة بسلام .

وحى الإسماعيلية :

وكان للاسماعيلية وحى عجيب ، فهذا المعسكر الإنجليزى فى غربها ، بيأسه وسلطانه وهيلمته وهيلمانه ، يبعث فى نفس كل وطنى غيور الأسى والأسف ، ويدفعه دفعاً إلى مراجعة هذا الاحتلال البغيض ، وما جر على مصر من نكبات جسام ، وما أضاع عليها من فرص مادية وأدبية ، وكيف كان الحاجز الوحيد دون نهوضها ورقيها ، والمانع الأول من وحدة العرب واجتماع كلمة المسلمين طوال ستين سنة .

وهذا المكتب الأنيق الفخم ، مكتب إدارة شركة قناة السويس فى بهائه وروعته ، وسلطانه وسطوته واستخدامه للمصريين ومعاملته إياهم معاملة الأتباع المضطهدين ، وإكرامه للأجانب ورفعه إياهم إلى مرتبة السادة الحاكمين ، واستئثار هذا المكتب بالإشراف التام على كل المرافق العامة ؛ فالنور والمياه ، والنظافة ، وكل ما هو من شأن المجالس البلدية ، تقوم عليه الشركة حتى الطرق والمداخل التى توصل إلى الإسماعيلية البلد المصرى الصميم ، كلها فى يد الشركة ؛ فلا دخول إلا بإذنها ولا خروج إلا بموافقتها .

وهذه المنازل الفخمة المنتشرة ، فى حى الإفرنج بأكمله ، يسكنها موظفو شركة الأجانب ، وتقابلها مساكن العمال العرب فى ضآلتها وصغر شأنها ، والشوارع الأنيقة فى حى العرب كلها تحمل لوحات لم تكتب إلا بلغة هذا الاحتلال الاقتصادى ، الجاثم على صدرها حتى شارع المسجد كان مكتوباً هكذا Rue de Le Mosquée

ذلك إلى تخليد الأسماء الأجنبية على هـــذه اللوحات « نجرللي » ، « لبير » « أوجيني » الخ . . .

كل هذه المعاني والخواطر كانت تتفاعل وتعمل عملها في النفس ، بخاصة إذا خلا المتأمل فيها بنفسه : بين خمائل الإسماعيلية ، وحدائقها الغناء ، أو في شاطىء بحيرة التمساح الجميلة ، أو في جوف الغابات الصناعية ، على حافة الصحراء .

لقد أوحت الإسماعيلية بالكثير من المعاني ، التي كان لها أثر كبير في تكييف الدعوة والدعاية .

الإخوان المسلمون

وفي ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ ، مارس سنة ١٩٢٨ م فيما أذكر ، زارني بالمنزل ، أولئك الأخوة الستة : حافظ عبد الحميد ، أحمد الحصري ، فؤاد إبراهيم ، عبد الرحمن حسب الله ، إسماعيل عز ، زكي المغربي ؛ وهم من الذين تأثروا بالدروس والمحاضرات التي كنت ألقيها ، وجلسوا يتحدثون إلى وفي صوتهم قوة ، وفي عيونهم بريق ، وعلى وجوههم سنا الإيمان والعزم ، قالوا : « لقد سمعنا ووعينا ، وتأثرنا ، ولا ندرى ما الطريق العملية إلى عزة الإسلام وخير المسلمين ، ولقد سئمنا هذه الحياة : حياة الذلة والقيود ، وها أنت ترى أن العرب والمسلمين في هذا البلد لا حظ لهم من منزلة أو كرامة ، وأنهم لا يعدون مرتبة الإجراء التابعين لهؤلاء الأجانب .

ونحن لا نملك إلا هذه الدماء تجرى حارة بالعزة في عروقنا ، وهذه الأرواح تسرى مشرقة بالإيمان والكرامة مع أنفاسنا ، وهذه الدراهم القليلة من قوت أبنائنا ، ولا نستطيع أن ندرك الطريق إلى العمل كما تدرك ، أو نتعرف السبيل ، إلى خدمة الوطن والدين والأمة كما تعرف ، وكل الذي نريده الآن أن نقدم لك ما نملك لنبرأ من التبعة بين يدي الله ، وتكون أنت المسئول بين يديه عنا وعما يجب أن نعمل ، وإن جماعة تعاهد الله مخلصة على أن تحيا لدينه ، وتموت في سبيله ، لا تبغى بذلك إلا وجهه ، لجديرة أن تنتصر ، وإن قل عددها وضعفت عددها » .

كان لهذا القول المخلص أثره البالغ في نفسي ، ولم أستطع أن أتنصل من حمل ما حملت ، وهو ما أدعو إليه وما أعمل له ، وما أحاول جمع الناس عليه ، فقلت لهم في تأثر عميق : « شكر الله لكم وبارك هذه النية الصالحة ؛ ووفقنا إلى عمل صالح

يرضى الله وينفع الناس ، وعلينا العمل وعلى الله النجاح ؛ فلنبايع الله على أن نـكون لدعوة الإسلام جنداً ، وفيها حياة الوطن وعزة الأمة » .

وكانت بيعة . . .

وكان قسما أن نحيا إخواناً نعمل للاسلام ونجاهد فى سبيله .

وقال قائلهم : بم نسمى أنفسنا ؟ وهل نـكون جمعية أو نادياً ، أو طريقة أو نقابة حتى نأخذ الشكل الرسمى ؟ — فقلت : لا هذا ، ولا ذاك ، دعونا من الشكليات ، ومن الرسميات ، وليـكن أول اجتماعنا وأساسه : الفـكرة والمعنويات والعمليات . نحن إخوة فى خدمة الإسلام ؛ فنحن إذن « الإخوان المسلمون » .

وجاءت بغتة . . . وذهبت مثلا . . . وولدت أول تشكيلة للاخوان المسلمين من هؤلاء الستة ، حول هذه الفـكرة ، على هذه الصورة ، وبهذه التسمية . . .



مسئولية القلم

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إلاَّ سَتَبْقَى كِتَابَتُهُ وإنْ فَنِيَتْ يَدَاهُ
فَلا تَـكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فى القيامة أَنْ تَرَاهُ

التشريع المحمدي *

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الزرقا

أستاذ الشريعة الإسلامية بالجامعة السورية

التشريع روح المجتمع وقوام حياته ، لأن هذه الحياة فى كل مجتمع ملاكها مصالح الأفراد والجماعات ، وتلك المصالح الحيوية صوانها النظام وضمانها التشريع ؛ وإلا كانت الفوضى التى لاتقوم معها حياة اجتماعية ، بل ترد الإنسان إلى حياة ابتدائية فردية أشبه بحياة الحيوان ، تحل فيها إرادة الفرد محل النظام ، وقوته الشخصية محل التشريع .

وخير التشريع ما كانت قواعده أظهر عدلا ومساواة ، وأبلغ إصلاحاً الأوضاع الاجتماعية ، وأوفر حماية للضعفاء ورفقاً بهم ، وأبعد عن الجور واستبداد بعض العناصر ببعض .

وعظمة التشريع المخلدة إنما هى فى قواعده وأصوله ، لا فى فروعه وفصوله ، فكلما كانت تلك القواعد أحكم وأكمل ، وتلك الأصول أعم وأكفل ، كان التشريع أخلد حياة ، وأخصب نتاجاً ، وألمع سراجاً ، وأوفى بحاجات العصور . وفى الأمم ذات التراث التشريعى القيم يوجد إلى جانب نصوص الشارع فقه للعلماء المتشرعين واجتهاد للقضاة الحاكمين : يفرع على تلك الأصول العامة ، ويبنى على تلك القواعد الثابتة ، وينزل الحوادث على المنازل اللائقة بها من تلك الأصول والقواعد ، ويوسع النصوص المحدودة إلى آفاق غير محدودة بالقياس والاستنباط وتحكيم العلل التى راعاها الشارع واستثارة الدلائل .

(*) إن نسبة التشريع الإسلامى إلى محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه « بالمحمدى » لايعنى عندنا معاشر المسلمين ما قد يتبادر إلى فهم غيرنا ممن وقعوا فى عبادة الأشخاص وتأليههم ، ولا ما يدور بخلد كتابهم متأثرين بهذا التأليه الفاسد حين يكتبون عن الإسلام فيسمونه Mohammedanism وعن المسلمين فيسمونهم Mohammedans ، فإن كل مسلم يفهم عن نبيه قول الله : « إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ » ونسبتنا إليه هى نسبتنا إلى الرسالة التى تنزل عليه الوحى بها « يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين » . وحبنا له صلى الله عليه وسلم وتلمسنا لمواطن العبرة فى سيرته العطرة أمر دعانا الله إليه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » وذلك لغاية واضحة لايتجه القلب إلا إليها ولا يعرف رسول الله من لم يتجرد لها : « لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

« التحرير »

هذه نظرة خاطفة يلمح منها مكان التشريع وقيمته فى الحياة الاجتماعية ، ومضمار تكافله ، وميزان تفاضله ، فما هو أثر نبينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فى هذه السبيل العالمية العليا ؟ .

لقد نشر النبى عليه الصلاة والسلام ، إلى جانب العقيدة النقية التى طهر بها العقل البشرى من وضير الوثنية ، تشريعاً عاماً خالد القواعد والأصول . ولم يعهد التاريخ تشريعاً مثله تكفلت قواعده المتينة وأصوله الواسعة بحمايته وثباته أمام معاول التهديم وتطورات الأوضاع الزمنية ، فكان بمتانته ومرونته وسعة أصوله كفيلا بالصمود أمام الطوارئ ، وبالكفاية لاحتياجيات الأجيال المتعاقبة ، والمدنيات المتنوعة .

فنحن إذا نظرنا إلى هذا التشريع نظرة عامة خارجية نجد أنه كان أساساً لفقه عظيم ملأ جوانب الأرض ، وعمر آلاف المدارس ، ووسع مئات المذاهب الاجتهادية التى قامت على أسسه ، واستمدت من نصوصه وأصوله ، وكان لكل منها سلطان قضائى فى مملكة أو ممالك من العالم الإسلامى ، ولا تزال طائفة من تلك المذاهب الفقهية الاجتهادية — وفى طليعتها المذاهب الأربعة : الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى — هى الشرع السائد ، والقضاء النافذ بين الملايين الكثيرة من الناس ، يقوم به بينهم عدل شامل ونظام كامل واضح الحدود والمعالم ، كفيل بقمع الفساد والمظالم ، ضابط لحقوق الناس وسلطان الحكام ، ولا تستطيع النظريات الحديثة فى التشريع فى هذا العالم الغربى المدنى الجديد أن تخرج عما وصلت إليه مجموعة تلك المذاهب الفقهية لدينا من حيث الأساس ، ولا أن تطالعنا بجديد لم يسبق فقهاؤنا إلى بحثه وتمحيصه على ضوء المبادئ والقواعد التشريعية الشاملة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا ما يكون من قبيل اختلاف الوسائل والأساليب والأشكال والتراتيب .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد أن الفقه الأوربى الحديث يرتب مصادر الحقوق جميعاً ويردها إلى خمسة مصادر كلية أساسية تعتبر هى المولدات المباشرة للحقوق والالتزامات بين الناس ؛ فكل حق لأحد لابد أن يتولد عن أحدها ، وهى : العقد ، والإرادة المنفردة ، والفعل الضار ، والإثراء بلا سبب ، والقانون ، أى إرادة الشارع .

فالشريعة المحمدية قد تضمنت كل هذه المصادر الالتزامية الخمسة بنصوصها الأساسية فى القرآن والسُّنة قبل نحو أربعة عشر قرناً :

(١) فأما المصدر الأول وهو العقد ، فمما جاء عنه فى القرآن قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

(ب) وأما المصدر الثانى وهو الإرادة المنفردة فقد جاءت بتطبيقاته آيات وأحاديث كثيرة ، منها ما جاء من الوصية التى تنعقد وتثبت فيها الحقوق بمجرد إرادة الموصى ، وعن انعقاد النذور بالتزام الناذر ، وانعقاد الوقف بإرادة الواقف ، ووقوع الطلاق ونتائجه المالية بإرادة المطلق ، إلى غير ذلك من صور الإرادة المنفردة ومصدريتها فى إنشاء الحقوق .

(ج) وأما الفعل الضار فما جاء عنه فى القرآن جميع آيات النهى عن العدوان ، ومسئولية قتل الخطأ ، وقوله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، وقوله عليه السلام : « لاضرر ولاضرار » وهو من أصول الشريعة الكبرى .

(د) وأما الإثراء بلا سبب والمسئولية الحقوقية فيه فمما جاء من شواهده ومؤيداته فى القرآن قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » .

(هـ) وأما التشريع ومصدريته المباشرة فى إنشاء الحقوق فشواهده أكثر من أن تحصى كإيجاب الزكاة ونفقة الأقارب وحق الشفعة وغيرها .

فالفقه القانونى الحديث فى ترتيبه البديع لمصادر الحقوق والالتزامات لم يستطع أن يأتينا بمصدر جديد لم تسبق إلى تقريره نصوص الشريعة المحمدية التى أعلنها النبى صلى الله عليه وسلم فى أمة أمية جاهلة لم تعرف للشرائع معنى ولا أثراً . ويصرح العلماء الراسخون من فقهائنا أنه لايمكن أن تقع حادثة فى مستقبل الحياة البشرية : حقوقية أو جنائية ، فردية أو دولية ليس لها حكم فى شريعة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وليس هذا مجرد دعوى ، بل هو مبنى على معرفة بفقه الشريعة ومبانيها ، فإن هذه الشريعة تضمنت نصوصاً وأقضية خاصة معينة ، وأقامت حدوداً للحقوق واضحة مبينة ، وبنت أصولا ومبادىء فى مفهوم العدالة وفى حقوق الأفراد والجماعات ، ونصبت أهدافاً وغايات من المصالح العامة الثابتة الاعتبار ، وفوضت للعلماء والحكام أن يقرروا للحاجات الزمنية أحكاماً تعالجها على ضوء المصالح الدينية والمدنية والفردية والاجتماعية تلك المصالح التى رسمت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم حدودها ، وأمر القرآن والسنة باتخاذها أساساً للاستنباط والتفريع .

وإن نظام المصالح المرسلة فى شريعة الإسلام أوسع باب عرفه فقه الشرائع فى التاريخ وهو على هذه السعة مضبوط الحدود ، قاطع للفوضى ؛ فهو يقوم على أساسين يرجع إليهما العلماء والحكام فى كل ما لم تتناوله الشريعة بالنص ، ولم تفرض فيه حكما خاصاً :

١ — الأساس الأول : صيانة الضروريات الخمس : أى الأركان التى ترى الشريعة أنه لا تصلح حياة بشرية دون صيانتها ، وهى :

الدين ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والمال ؛ فكل أحكام الشريعة تتضافر على صيانة هذه الأركان ، ولا يقبل فى الشريعة حكم يهدم شيئاً منها .

وعلى هذا الأساس الأول تقوم جميع الفروض الكفائية التى لم تحدد الشريعة أنظمتها بل تركتها إلى تقدير العلماء والحكام ، كإنشاء المدارس ووضع أنظمتها لصيانة العقول وتثقيفها وحفظ الدين وتعاليمه ، وكإنشاء المحاكم وترتيباتها لصيانة الأموال والحقوق ، وكتأسيس الجيش ونظامه وفرض العقوبات القاطعة للاجرام والمفوضة إلى الحكام ، وغير ذلك مما يطول شرحه .

٢ — والأساس الثانى : قبول جميع التدابير التى لم تبلغ مرتبة تلك الأركان الخمس فى ضرورتها ، ولكنها تسد حاجة معتبرة أو تيسر المرافق الكمالية ككثير من العقود والأحكام والإباحات ، مثل الصيد وتنظيمه ، وأنواع الشركات وما تدعو إليه الحاجات ، والأوضاع الاقتصادية الزمنية من عقود جديدة كعقد نزول الفنادق بالطعام والشراب فى العصر الحاضر .

وإلى جانب نظام المصالح هذا يقوم فى نصوص الشريعة وقواعدها مبدأ آخر لقبول التدابير الاستثنائية التى تعرضها حالات الاضطرار ودفع الحرج ، فالضرورات تبيح المحظورات ، وتسمح فى كل طارئة أو قوة قاهرة بحكم استثنائى مؤقت يعتبر أهون الشرين ، ويزول بزوال الاضطرار وذلك كى لا تكون أحكام الشريعة الأصلية حرجاً يوجب التمسك به تلفاً فى الأنفس أو تكليفاً بما لا يطاق فى ظرف من الظروف .

فمن ثم كان هذا الاستيعاب الشامل فى أسس الشريعة الإسلامية وذلك الفقه الخصيب الذى نتج عنها وتولد منها : فكل ما لم يتناوله النص الصريح تناوله أصل صحيح من أصول الشريعة وقرر له حكمه المناسب فى ذلك الإطار العام تفريعاً أو قياساً .

هذا إذا نظرنا إلى التشريع المحمدى الأساسى نظرة عامة خارجية تلم بشواهده دون قواعده ، فأما إذا أوغلنا قليلا فإننا نصل إلى أسس وقواعد من أخلد ما عرف فى تاريخ الشرائع :

فلقد نشأ النبى عليه السلام فى محيط وثنى ليس أهله على شىء من التشريع والنظم المدنية أو الجزائية : حياة قبيلية لا حكومة فيها ولا نظام ، شريعتها الغزو ، وقانونها الثأر ، والمرأة فيها متاع ، لا حق لها ولا إرث ، إلى آخر ما هو معروف من حياة

العرب فى الجاهلية ، فجاء النبى عليه السلام بشريعة كاملة قرر فيها المبادىء التى نأتى منها بالأمثلة التالية :

أولا : قرر حقوقاً للنساء مساوية لحقوق الرجال إلا فى قليل من المواضع التى قضت بعض التفاوت فيها فوارق الطبيعة والوظيفة ، ونادى بحرمة إرادتهن وحرية عقودهن فلا تكره فتاة على زواج أو زوج ، ولا يستبد ولى أو زوج بشىء من حقوقها ، وأوجب مزيد الثواب بالعناية بالبنات ، فأصبح العرب بعد وأد البنات فى الجاهلية يقول بعض أبطالهم فى الإسلام :

لقد زاد الحياة إلىّ حباً بناتى ، إنهن من الضعاف
ولولا ذاك قد سيرت مهرى وفى الرحمن للضعفاء كاف

ثانياً : حرّم تجارة الأسياد بأعراض الإماء ، وقد كان ذلك شائعاً فى الجاهلية ، فقال القرآن العظيم : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

ونادى بالإحسان إليهن والزواج بهن ، بعد أن كانت الأمة متاعا مكتسبا وليس محلا لزواج الأحرار .

ثالثاً : حرّم استرقاق المدين ، وكان ذلك شائعاً فى الجاهلية ، بل كان فى الشرع الرومانى من حق الدائن قتل مدينه المعسر ، وإذا تعدد الدائنون فلهم تقطيعه ويأخذ كل منهم قطعة من جسده .

فقام محمد بن عبد الله ينادى فى قرآنه : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

رابعاً : حرم أكل الأموال والحقوق إلا بأسبابها الشرعية ، ورتب على ذلك الضمانات الوافية والزواجر الواقية .

خامساً : اعتبر العرف فى كل ما لا يصادم نصا خاصا قاطعا وجعله أساسا لتحديد كثير من الحقوق .

سادساً : — وهذا من أهم المبادىء القانونية اليوم — أسس رضائية العقود ، فجعلها خاضعة للارادة الحرة ومورثة آثارها بمجرد التراضى دون التوقف على الأشكال والمراسم التى كان مصطبغا بها الشرع الرومانى ولها آثار فى جاهلية العرب . فقد كانت العقود عند الرومان لا تفيد آثارها بمجرد التراضى ، ولا تنعقد إلا بمراسيم مخصوصة ، والبيع لا يتم إلا بشكليات مضنية كحمل النقد والضرب به على الميزان ،

وإحضار جزء من التراب لوزنه وتسليمه فى بيع الأرض إلى غير ذلك ، وبدون هذه المراسم الخاصة بكل عقد لم يكن يعتبر التعاقد . فجاءت شريعة محمد عليه السلام تبنى العقد على مجرد التراضى وتجعله ملزماً . إلى غير ذلك من المبادىء الأساسية العظمى فى الشريعة ، ولم تتبع فى ذلك تطوراً وتكاملا تدريجيا شأن بقية الشرائع المعروفة فى تاريخ البشر ؛ فجميع الشرائع الراقية فى هذا العصر ذات الأصول القديمة لو رجعنا إلى أصولها فى التاريخ لوجدنا منها أقبح صورة أشبه بأسطورة : ففرنسا التى تعد اليوم من أرقى الأمم فى تشريعها القانونى الحاضر ، قد كانت إلى القرن الثامن عشر تحاكم الحيوانات وتقضى عليها بالعقوبة ! !

أما الشريعة المحمدية فقد ولدت فيها كاملة هذه المبادىء التى لم يصل إليها التشريع الحديث إلا فى نهاية شوط الحضارة .

يقرر الأستاذ الكبير العلامة عبد الرازق أحمد السنهورى فى بحث مبدأ سلطان الإرادة العقدية ورضائية العقود فى الفقه الأوربى الحديث من كتابه نظرية العقد (ص ٩٤) :

« أن جميع الشرائع الوضعية الحديثة التى أقرت أخيراً مبدأ سلطان الإرادة المطلقة فى الشرق والغرب قد مرت أصولها بمراحل طويلة من القيود الشكلية المختلفة فى إنشاء قواعد العقود ، إلا الشريعة الإسلامية فإنها أنشأت قواعد العقد إنشاءً جديداً محرراً من جميع القيود الشكلية التى تفرضها الأعراف والعادات فى جاهلية العرب وفى شرائع الأمم المحيطة بهم ، وقد كان هذا من الظواهر الغريبة غير المعهودة فى تاريخ التشريع ، وهذه المزية التى تفرد بها الشرع الإسلامى مدينة لعامل واحد هام هو المصدر الدينى فيه » .

ويقول أيضا فى بحث التعاقد بالمراسلة (فى الفقرة /٣٠٣/ منه) .

« العقد فى الفقه الإسلامى يبنى على توافق الإرادتين دون تحفظ ، فهو رضائى إلى حد جاوز فيه القوانين التى تأخذ برضائية العقد » .

وأهم من هذا كله أن التشريع المحمدى ربط احترام التشريع بالعقيدة حتى يكون الإنسان قاضيا على نفسه إذا أراد أن يكون مؤمنا ؛ فمن استطاع أن يخدع القضاء حتى أخذ ما ليس له بحق أو منع صاحب حق عن حقه فإن القضاء له لا ينجيه ، بل تبقى ذمته معلقة وهو غاصب لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يؤدى الحقوق إلى أربابها .

وهذا ما عجزت عنه الشرائع الوضعية التى لا محل فيها لفكرة الحلال والحرام ، بل ماقضى به القاضى فهو حق وما لم يقض به فهو باطل ، فالإنسان فى ظل هذه الشرائع الوضعية لا يحترم التشريع إلا ما دام القضاء مصلتاً فوق رأسه .

وأساس هذا النجاح فى فرض احترام التشريع فى شريعتنا المحمدية أن النبى عليه السلام قد بين أن الأحكام الشرعية هى من إرادة الله ولو كانت من الأحكام المبنية على العرف والتى تتبدل بتبدل الزمان وتقدير الحكام ومقتضيات الأحوال . ففى الشرائع الوضعية لا يوجد ضامن يضمن احترام الناس للتشريع سوى القوة القضائية ، أما فى الشريعة المحمدية فإن النبى صلى الله عليه وسلم أضاف ضامناً آخر هو الديانة ، وبناء على ذلك ربط النبى صلى الله عليه وسلم جميع الحقوق بنظرين اثنين : نظر الديانة ونظر القضاء : فالديانة تحاكم الإنسان بناء على الواقع الذى يعلمه هو من نفسه لا على الظاهر ، والقضاء يحاكمه على الظاهر : فقد تفقد البينة على حق من الحقوق وهو واقع ، فيقضى القاضى برده ، فالشخص يبقى فى نظر الشريعة مدينا ولو برأه القضاء وهو عند الله كالغاصب حتى يوفى الحق المكتوم .

فبذلك أصبح كثير من الناس يحترم الحق ويؤديه ، ويعترف به ولو لم تكن عليه بينة ويرضى الإنسان بحكم الشريعة ولو لم يوافق هواه ؛ وأصل ذلك قول النبى عليه السلام :

« إنكم تختصمون إلىّ وأنا بشر ، ولعل أحدكم يكون الحن(١) بحجته من الآخر فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فإنما أقضى له بقطعة من النار ، فليأخذها أو فليدعها » .

وقد جعل النبى عليه السلام فوق هذا دراسة فقه الشريعة وقوانين أحكامها من صلب الدين وعبادة الله فقال : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » فأصبح الإنسان بعد ذلك يعكف على دراسة الشريعة ومعرفة الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، للتدين لا لمجرد التزين ، وقياما بواجب التفقه لا لمجرد التفكه . وإلى هذا يرجع الفضل فى انتشار تعلم الشريعة بين المسلمين بنسبة تفوق كثيراً نسبة من يدرسون القوانين فى الأمم الأخرى ، وكان من ذلك العدد العظيم فى التاريخ من فقهاء المسلمين الذين دونوا ذلك الفقه العظيم . هذا بعض أثر محمد صلى الله عليه وسلم فى التشريع عرضنا منه ما تسمح به هذه الكلمة العجلى .

---

(١) الحن : أبين .

مصر والحياد

للبكباشي أركان حرب أبو المكارم عبد الحي

أمنية جميلة تهفو إليها كل نفس، ويتمناها كل فريق.. وتسعى إليها دول كثيرة.!! أمنية جميلة تدعو لها الأمهات والأولاد في الصلوات ... بعد أن يئس الجميع من دعوة السلام ... أمنية ليتها تتحقق لمصر بالذات، في حرب قادمة لن تجني منها سوى آلام وأحزان..!!

نعم... فقد كثر الكلام في هذه الأيام، وأخذت الدول الكبرى تردد بأن الحياد كلمة ليس لها اليوم وجود، ويدللون على ذلك بأن هذه الكلمة أصبح لا وجود لها في قاموس المعاملات العسكرية، وقد عزز هذا القول ما استخلص من دروس الحرب العالمية الثانية من أن الحياد كان شيئا رمزياً، أو أنه لم يغن عن المصير المحتوم.

فهذه الدانمرك والنرويج، وهذه هولندا وبلجيكا، دول أعلنت ورتبت نفسها وسياستها على أن تبقى محايدة، بعيدة عن النضال المرير الذي كان على وشك أن يدور بين أقوى أمم الأرض... ورغم هذا فقد اجتاح هتلر الدانمرك والنرويج في ربيع سنة ١٩٤٠، وعصف بهولندا وبلجيكا في مايو من نفس العام. وقد وجد الروس أن الفرصة سانحة فاجتاحوا لتوانيا ولاتفيا واستونيا في الوقت الذي كان هتلر قد أخضع فيه فرنسا. ثم تطلع الدب الروسي في يونيو وأنذر رومانيا المحايدة بإعادة بسارابيا وغيرها، تلك المناطق التي كانت قد سلخت من روسيا في ١٩١٨. وفي عام ١٩٤١ اجتاح هتلر يوغسلافيا المحايدة، بينما احتل الروس بلغاريا المحايدة في ١٩٤٤: أي في نهاية الحرب تقريبا...

***

دروس بليغة لمن يتكلم بلغة الحياد... ولمن يسبح في الخيال، ويتمنى أن تكون مصر على الحياد... هذا هو ما يردده دعاة التحالف مع الغرب، ومن يريدون ربط مصر في عجلة الامبراطورية العتيقة.

ولكننا نرد عليهم قائلين بأن سويسرا وأسبانيا والسويد وتركيا، كانت على الحياد

وبقيت على الحياد ، ولم يفكر أحد طرفى الخصومة فى العبث بحيادها وهكذا تجنبت هذه الدول ويلات حرب قاسية مريرة ، وخرجت كل منها قوية الجانب موفورة الكرامة . . . ! !

حقا لقد دخلت تركيا الحرب فى أواخر أيامها — شأنها شأن مصر — ولكن هذا كان بغرض الاشتراك فى المؤتمرات العالمية التى تمخضت عن قرارات مؤتمر يالتا وميثاق الاطلنطى وغيرها . . ! !

فهل نجحت هذه الدول فى وقوفها على الحياد . . أم جاء الأمر مصادفة وخروجا عن المألوف .. أم أن هذا جاء نتيجة بعدها عن ميادين التطاحن والنضال ؟ لا هذا .. ولا ذاك . . . فالسويد كانت ذات أهمية بالغة لألمانيا ، فهى تمكنها من سهولة الوصول إلى النرويج ، وبالتالى الإشراف على المحيط الإطلنطى ، وكذا تهديد جناح فلندا ... ولو أن ألمانيا اجتاحت سويسرا ، لأمكنها بسهولة تطويق فرنسا من ناحية الشرق ، بعد أن تكون قواتها الرئيسية قد تخطت خط ماجينو من ناحية الغرب . . ! !

ولو اجتاحت أسبانيا ووصلت إلى صخرة جبل طارق ، لأمكنها السيطرة على الملاحة فى غرب البحر الأبيض المتوسط ، ولو أنها اجتاحت تركيا ، لأمكنها أن تهدد مركز بريطانيا فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، ولأمكنها الوصول إلى حقول بترول روسيا فى القوقاز ، بل لوصلت إلى قناة السويس ، واستولت على الشرق الأوسط بأكمله . . . إذن فلماذا لم تفكر ألمانيا فى اجتياح هذه الممالك ، وجميعها كانت ذات فائدة محققة فى وصول ألمانيا لأغراضها ، ولماذا اجتاحت ألمانيا دولا أخرى ، وعصفت بحيادها ، ولم تقم لأمرها وزنا . . ؟ إن فى الإجابة على هذا السؤال إجابة ضمنية على قيمة الحياد ، وعن العوامل التى تساعد على البقاء على الحياد . . .

ولقد كانت سواحل النرويج ذات فوائد استراتيجية لألمانيا ، سواء فى تشديد حرب الغواصات على بريطانيا أو فى التقليل من قيمة الحصار البحرى المفروض على ألمانيا ، علاوة على أنها تحمى جنب ألمانيا الشمالى ، وكانت النرويج أيضا غنية بمناطق الحديد الخام ، وفوق كل هذا فإن جيش النرويج كان ضعيفاً وغير مدرب . . . أما الدانمرك فقد كانت خطوة أولى لابد منها لمهاجمة النرويج ، ولكن الذى شجع على إهمال حيادها كون طبيعة أرضها لا تعطى مواقع دفاعية مناسبة فى وجه المهاجم ، علاوة على أن جيشها كان ضعيفا وغير مدرب . . وهولندا كانت ذات موقع جغرافى يهدد ألمانيا ، أو يتعبها على الأقل . وجنوب هولندا يعتبر أسهل وأنسب طريق يوصل إلى بلجيكا ، وبالتالى

إلى أضعف حدود فرنسا . وترك هولندا بدون السيطرة عليها ، قد يجعل الحلفاء يطمعون فى تجميع قواتهم وجواسيسهم بها لعرقلة أعمال ألمانيا فى فرنسا . . ! ! وفوق كل هذا فقد كان الجيش الهولندى ضعيفا وغير مدرب . . .

أما بلجيكا فقد كان اجتياحها هو الطريق الوحيد الذى يمكن من تخطى « خط ماجينو » وتطويقه من الغرب ، مالم يطوق من الشرق عن طريق سويسرا . . . فاختارت ألمانيا اجتياح بلجيكا ، لأن طبيعة أرضها أسهل وأنسب للحرب الخاطفة من سويسرا ، علاوة على أنها تصبح قاعدة قريبة مناسبة للهجوم على الجزيرة البريطانية فيما بعد . . ! !

أما يوغوسلافيا فقد كانت ضرورية لهتلر لتأمين جنبه الأيمن عندما يشرع فى مهاجمة روسيا فيما بعد ، علاوة على أن جيشها كان يعانى نقصا خطيراً فى المعدات الحربية الحديثة . .

لو نظرنا إلى كل هذا لوجدنا أن بلجيكا وهولندا كا يمكنهما أن يقفا فى وجه هتلر ، فيما لو لم يفكرا فى كلمة الحياد على أنها كل شىء . . وكان يمكنهما أن يحافظا على حيادهما فيما لو وضعا خططهما وسياستهما مفترضين احتمال مهاجمتهما وعندئذ كان كل منهما سيقوى حدوده ودفاعاته ، وكان سيسمح للقوات المتحالفة بالنزول فى أراضيه مبكراً لتعطيل الزحف الألمانى ، وإن كان هذا لن ينجيه من الخراب الذى كان سيتعرض له لو أن المعارك الفاصلة دارت فى أراضيه . . .

أما روسيا فقد فكرت واحتلت ولايات البلطيق الثلاث ، حتى تكون « مخففا للصدمة » Shock Apsorbet فيما لو حاول هتلر مهاجمة روسيا (كما حدث فيما بعد) علاوة على أن ذلك يعنى حرمان ألمانيا من هذه الولايات : أى من قاعدة مناسبة للهجوم على روسيا ، إذ أن احتلال ألمانيا لهذه الولايات يعطيها مواجهة كبيرة ، تمكنها من المناورة عند الهجوم على روسيا وبالأخص جنبها الأيمن . وكان احتلال روسيا لبلغاريا فى أواخر الحرب خطوة لابد منها امتداداً لانتصاراتها على ألمانيا ، كما وأن هذا جاء بجزء من سياستها لما بعد الحرب ، إذ أن هـذا يمكنها من فرض سيادتها ونفوذها ونشر دعايتها فى وسط وجنوب أوربا .

ولا شك أن روسيا قد وجدت هذه الدول على درجة من الضعف العسكرى ، سهلت لها ومكنتها من سهولة اجتياح حيادها . . .

ولا بد لنا من أن نلاحظ تشابها فى كل فريسة . . . فقد كانت كل « فريسة ذات حياد » معرضة للغزو ، نظراً لطبيعة موقعها ، وأهميتها الاستراتيجية البالغة فى نجاح

واستمرار الدولة الغازية فى تنفيذ خططها العسكرية ، وفوق كل هذا وذاك . . نظراً لضعفها وعدم تدريب جيشها . . بينما كانت الدول التى أمكنها أن تحافظ على حيادها، أقوى نسبيا من الدول التى اكتسحت ، علاوة على أن طبيعية أراضيها كانت محصنة طبيعيا بالجبال التى تحيط بها أو الأنهار والبحار التى تفصلها ، علاوة على أنها لم تكن توصل توصيلا مباشراً إلى غرض هتلر ، وإن كان بعضها كذلك مثل سويسرا ، إلا أن بلجيكا كانت تؤدى نفس الغرض ولذلك أغنت عنها .

* * *

نستنتج من ذلك أن الحياد أمر ممكن بشرط أن تكون الدولة قادرة على مقاومة المعتدى منتفعة بمواقعها الطبيعية والصناعية بطريقة تجعل الفائدة التى قد يحصل عليها المعتدى لا توازى الخسائر التى سيتكبدها ؛ خصوصا إذا كان هنالك احتمال تدخل دولة حليفة لرد العدوان وتأييد المعتدى عليه .

عندئذ سيفكر المعتدى وسيتردد كثيرا قبل أن يعتدى . ولو أضفنا إلى هذا أن الدول التى حافظت على حيادها ولم يعتد عليها ، كانت بعيدة ومتفرقة عن بعضها ، لا تضح لنا قيمة حيادها هذا ، فيما لو كانت قريبة عن بعضها لدرجة تسمح بتبادل المساعدة وتنسيق أعمال المقاومة .

ولكن بقى هنالك أمر يستحق التقدير والتفكير . . فإذا كان الحياد أمراً ممكناً ، فهل هو أمر حكيم .. لاشك أن الجواب عند أول وهلة سيكون « نعم » خصوصاً إذا قارنا بين حالة الدول التى تبقى على الحياد ، وحالة الدول التى تشترك فى الحرب حتى ولو كانت هذه الدول فى الجانب المنتصر ... ولكن لايجب أن ننسى أن المنتصر قد يبغى على المحايد وتأخذه نشوة النصر ، مالم يكن هذا المنتصر معقولا ، أو صاحب فكرة متزنة ، أو أنهكته الحرب لدرجة لا تسمح له باعتداء جديد ... ولكن خطورة ذلك هى مجرد احتمال لايقارن بما يلقاه من يشترك فى الحرب سواء هزم أو كان من المنتصرين ... لأنه إنما يضع مستقبله فى كف الغيب ، معتمداً على قوة كبيرة تسنده وتحالفه وتمده بالمساعدة والتحرير ؛ ولا شك أن ذلك مجازفة تصل إلى حد الغفلة ... فإن الاعتماد على مساعدة خارجية فى حالة الاعتداء أمر غير محقق لايجد اهتماماً وحماسا كبيراً من الدول الكبرى ما لم يكن لها فى الأمر فائدة واضحة عاجلة .

* * *

وإنى سأترك هذا البحث الفرعى عن حكمة الحياد لتبحثه كل دولة بما يتفق ومصلحتها

وحالتها العسكرية ، ولـكنني أود أن أوضح وأدلل على ما للحياد من فوائد ، مستشهداً على ذلك بدخول أمريكا الحربين الأخيرتين فى النصف الثانى من كل حرب ، وفى الجانب المنتصر دائما ... أى بعد أن يكون المعتدى قد أنهكته الحرب واستنزفت موارده ... أود أن أقول بأن أمريكا تخرج من الحرب بدون أن تعانى ما تعانيه باقى الدول ، سواء المنهزمة أو المنتصرة ، وهى بذلك إنما تلعب نفس الدور الذى كانت تلعبه انجلترا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .

وهذا راجع إلى ادخار المجهود والقوى ، فتخرج الدولة قوية لدرجة تمـكنها من إملاء إرادتها على باقى الدول التى خرجت فى حالة إجهاد وضعف شديد ، بعد ما لقيته طوال فترة الحرب من مصائب ونـكبات وتدمير ...

وهكذا دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى فى نصفها الثانى فخرجت منها دولة قوية من الدرجة الأولى ، ودخلت الحرب العالمية الثانية فى نصفها الثانى فخرجت منها إحدى أقوى دولتين فى العالم ... بينمافقدت انجلترا هذا المـكان .. وإنى أعتقد اعتقاداً جازما بأنه لو بقيت أمريكا على الحياد طوال الحرب العالمية الثانية لأصبحت أقوى دولة على الإطلاق ، بعد أن تكون كلا من روسيا وألمانيا قد أجهدتا غاية الإجهاد

***

ومصر دولة لايعنيها من أمر الـكتلتين اللتين تتزعمان العالم شىء ، وليس لها فى هذا الصراع ناقة ولا جمل ، وقد ذاقت الأمرين على يد انجلترا ، كما أن المبدأ الشيوعى لايتفق ونظام الدولة أو الدين الإسلامى ...

ومصر دولة زراعية ، وإن كانت غـير ذات كفاية ذاتية فى هذا الميدان ، كما أنها دولة متأخرة صناعيا ... ولو أنها اشتركت فى الحرب القادمة ، لأمكن تدمير كباريها ، ونسف موارد القوة فيها ، وشل مواصلاتها ، ودك مصانعها ، وإتلاف منشآتها الصناعية. وكل هذا سيحطم الناحية الاقتصادية للدولة ، الأمر الذى لا يمكن لمصر أن تعيد تعميره وإصلاحه بسهولة ، لأنها دولة متأخرة صناعيا كما قدمت . !

ومصر ليست فى طليعة الدول العسكرية ، ولو أنها ارتبطت بإحدى الـكتلتين ، لما كان لها واجب رئيسى ، وسيقتصر واجبها على القيام بواجبات ثانوية قد لاتشرف ، وقد لاتساوى ما تتعرض له من ويلات وتخريب .

ومصر دولة لا أطماع خارجية لها ، وكل أمانيها تنحصر فى استقلالها كدولة نيلية موحدة ، وهذه حقوق ثابتة تطالب بها حليفتها انجلترا فتأبى انجلترا عليها ذلك . .

إذن فلماذا ننبذ الحياد الكريم ، ولماذا نرتمى فى عجلة الامبراطورية التى أذاقتنا الأمرين ، والتى تكشفت نواياها الاستعمارية ، وتصرفاتها الأنانية ، ومرامها الخبيثة ..؟

وبما أن منطق الحوادث يشير إلى إمكان البقاء على الحياد ، إذا كانت مصر على استعداد لمقاومة المعتدى مقاومة صادقة ، وبما أن حدود مصر الطبيعية تساعد كثيراً على هذه المقاومة ، وبما أن العقبة التى وقفت فى طريق الحصول على الاستقلال الكامل فى معاهدة ١٩٣٦ والتى تسببت فى فشل المفاوضات السابقة ، هى مايدعيه الجانب البريطانى من أن الجيش المصرى بوضعه الراهن ، لايمكنه أن يتحمل وحده عبء الدفاع عن منطقة قناة السويس . إذن فالطريق إلى الحياد واضح المعالم بارز الجنبات ... هذا الطريق يحتاج إلى شىء واحد .. يحتاج إلى جيش قوى .. لطرد الإنجليز من منطقة القناة ، حتى تتوفر أسس الحياد التام ، بعدم وجود قوات معادية ، أو لتكبيد المعتدى على الحياد خسارة شديدة ، وتعطيلا خطيراً فى خططه ، لو فكر فى أن يعصف بحيادنا ، أو يعتدى على حرمتنا . ولو كملت استعداداتنا هذه لما فكرت أى كتلة فى الاعتداء علينا ، ولأصبحنا منطقة حياد حيوية للطرفين ، كما كانت سويسرا فى الحربين الماضيتين . . .

وقد سبق أن قدمنا أن الدول التى بقيت على الحياد فى الحرب العالمية الثانية كانت متفرقة ومتباعدة عن بعضها وأنه لو كانت متصلة وقريبة من بعضها ، لكانت أكثر قدرة على فرض حيادها وصيانته . لهذا فإن الدول العربية ــ وجميعها تطابق مصر فى ظروفها ــ يمكنها لو تكتلت مع بعضها وأعلنت حيادها فى النضال القادم ، واستعدت لذلك بتقوية جيوشها بهمة وإخلاص ، وصدق واهتمام ، لأمكنها أن تفرض موقفها على العالم ، بحيث يصبح فى العالم ، لا كتلة شرقية وكتلة غربية فحسب . بل سيكون هنالك كتلة عربية محايدة ، وكتلة أسيوية محايدة وغيرها . وهكذا نرى أن حياد مصر أمر ممكن ... بل أمر مفيد ... بل إنه الطريق الوحيد لتفادى الويلات والنكبات والتخريب . ولكن هذا الحياد يحتاج لجيش قوى لصيانته ... وهذا الجيش القوى يحتاج إلى ميزانية ضخمة واعتمادات مالية كبيرة ، ويحتاج إلى أفراد ذوى عقيدة وروح ، وعلى صفات أخلاقية عالية ؛ ولا يمكن الحصول على مثل هذه الأخلاق ، دون رفع المستوى الثقافى ، ونشر الدين لتهذيب الأخلاق .

ولكن بقى هنالك أمر بالغ الأهمية ، ألا وهو احتمال نشوب الحرب فى وقت قريب وهذا أمر نتركه لحكمة من يقررون سياسة البلد ... فإن أرادوا .. فإنه يمكنهم ،

بسرعة تقوية الجيش وإمداده ، والعمل على تكتل الدول العربية ، بل الشرق الأوسط كله في كتلة حياد ، على أن يتم ذلك على وجه السرعة لمواجهة احتمال نشوب الحرب في الصيف القادم أو ما يليه ... وإن أرادوا فإنه يمكنهم نبذ الحياد ، فعندئذ إنما يختارون مستقبلا مجهولا مظلما ، لو مددت يدك فيه لم تكد تراها ... مستقبلا كله خراب ودمار وفناء ... مستقبلا كله أهوال ونكبات وأنقاض .. سواء كانوا في جانب من كتبت عليه الهزيمة بأهوالها .. أو في جانب من كتب له النصر المظلم بتبعاته ...

والعاقل من اتعظ بغيره ...



العرب لا تستخذى

شكّ الأصمعى فى لفظ استخذى (خضع) وأحب أن يستثبت : أهى مهموزة أم غير مهموزة ، قال : فقلت لأعرابى : أتقول استخذيت أم استخذأت ؟ قال : لا أقولهما ! فقلت : ولم ؟ قال : لأن العرب لا تستخذى (لا تخضع !)

« الكامل »

... رحم الله ذلك الأعرابى لقد أبى أن يقبل الاستخذاء « كلمة » فكيف به لو رأى قومه الآن وقد قبلوه « حقيقة » ! ألا ما أبعد الفرق بين الماضى والحاضر ، وما أحوجنا إلى تلك الأنفة من جديد .

سبحات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام
سفير مصر بالباكستان

يقظة البدوى

البدوى لا تحد نظره ولا سائر حواسه حدود الأبنية وسدود الحضارة ؛ فهو ينظر إلى الآفاق البعيدة ، ويرى السماء ليلا ونهارا ، وهو يعيش فى حماية نفسه يخاف العدو ، واللص والوحش ، ويحترز من ضلال الطريق والهلاك جوعا أو ظمأ ؛ فهو منتبه الحواس حاد الفراسة كثير الارتياب .

كنت فى سفر بالحجاز ، ومعنا دليل بدوى . فرأينا ثلاثة بعران فقال هـذه ضالة . وسرنا ونسيناها حتى لقينا رجلا على الطريق فوقف الدليل السيارة وسأل : أتلك بعرانك ؟ قال نعم . ثم رأينا صقراً محلقا فقال هذا صقر أفلت من الأمير . قلنا كيف عرفت ؟ قال أراه يقرب ولا يفزع من السيارات . وكنا نسير بموضع كثير الأشجار فأشار إلى سرحة قائلا هذه تسمى السرحة الغزلانية ، لأن الغزلان تأوى إليها . فعجبنا كيف ميز سرحة من بين سرح كثير وشجر متشابه .

ومن يساير البداة أو يعاشرهم يجد ما هو أبعد من هذا وأغرب .

فليس بعيدا ما نقرأ عن فراسة الأعراب ، ودلالتهم ، وتمييزهم ما يتشابه من شجر أو جبال أو طرق . وقد عرفت دليلا من جهينة يعرف الطريق ليلا ونهارا ، ويهدى السائق إن حاد فى الصحراء قليلا نحو اليمين أو الشمال . والذى نراه ونسمع به الآن من فراسة القافة واستدلالهم ، يصدق ما قرأناه وحسبناه خرافة مما روى فى كتب الأدب العربى . إننا نستطيع أن نحكم الحاضر فى كثير من الأمور الماضية ، والقياس صحيح أكثر الأحيان .

***

مقاصرنا الثلاثة

العقل القويم ؛ والخلق الكريم ؛ والجسم السليم .

من لى بجيل لم يضعف أجسامه الترف ، ولم يوهنها الكسل ، ولم ينهكها المرض .

بل صحت أجسامه بالخشونة والعمل ، والقصد فى المطاعم والمشارب وسائر اللذات ، والأخذ بأسباب الصحة كل حين .

ومن لى بهذا الجيل الصحيح يؤتى نصيبا من العلم النافع يستضىء به العقل ، ويهتدى به سبل المعايش ، يبغى العلم للمعرفة وللضرب فى هذه الأرض ، لايبتغى شهادة ولا منصبا ، ولا يحاول أن يجتاز الامتحان جاهلا ، ولا يرضى أن ينال شهادة مزورة .

ومن لى بهذا الجيل الصحيح العالم يملأ قلبه إيمان بالله ، فيرفعه عن كل دنية ، ويسمو به إلى المقاصد العلية ، ويملأ نفسه المروءة والهمة ، فيتنزه عن سفساف الأمور ويطمح إلى جلائلها ، ويملكه الإنصاف فلا يؤذى أحدا ولا يضار أحدا ، يشهد بالحق على نفسه ويقربه لخصمه ، وتستقر فى قلبه الرحمة فهو مشفق على الضعفاء ، برّ بالفقراء . ثم يزينه الأدب يوقر به والديه ويعظم من هم أكبر سنا من قومه كأنهم آباء له أو إخوة كبار ، ثم يجمله الحياء فهو عف اللسان واليد .

من لى بواحد من هؤلاء فى كل جماعة ؛ إن الذى وصفت فى الناس قليل ولكنه ليس بمستحيل . ليس مستحيلا أن توضع الخطط الصالحة للتربية القويمة لتنشىء هذا الجيل ، جيلا صحت أبدانه وعقوله وأخلاقه .

وصية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أوصانى ربى بتسع : الإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الغضب والرضى ، والقصد فى الفقر والغنى ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأصل من قطعنى ، وأعطى من حرمنى ، وأن يكون نطقى ذكرا ، وصمتى فكرا ، ونظرى عبرة .

« الكامل »

التفاوت في الأرزاق

للأستاذ الدكتور محمد صالح « رحمه الله »

الوكيل السابق لجامعة القاهرة

[هذا المقال هو آخر ما كتبه الأستاذ الفاضل رحمه الله ، وقد تأخر نشره ، فتحدث الأستاذ إلى رئيس التحرير قبل أن يلقى ربه بأيام مذكراً إياه بالمقال ، وقال فى حديثه إنه أراد أن يسوق هذا البحث كتفسير علمى لقول الله عز وجل : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا » ، وهو ذا البحث نقرأه بعد أن غاب كاتبه ، جزاه الله خيراً وأكرم مثواه] .

« التحرير »

أهمل الاقتصاديون البحث فى أسباب تفاوت الأرزاق مع مالها من الأهمية القصوى حتى وصفها « ريكاردو » بأنها « الموضوع الرئيسى لعلم الاقتصاد السياسى » .

ولم يجمع الاقتصاديون على أسباب التفاوت .. فيرى بعضهم أن تفاوت الطبقات الذى يرتكز على تفاوت الدخول متصل اتصالا وثيقاً بالنظام الطبيعى الذى يعيش الناس على مقتضاه ، وأنه يقع من الصرح الاقتصادى موقع حجر الزاوية ، فهو جزء لكل لا يتجزأ ، وأنه فى غنى عن التفسير أو التبرير ..

ويرى فريق آخر بأن تفاوت الدخول يتطابق مع تفاوت الكفايات . ومعنى هذا أن النقود هى مقياس الفضل . وأن تفاوت الدخول مردُّه إلى توافر تلك الصفات التى تسبب النجاح فى الأعمال ، وهذا الرأى يشتمل على قسط من الحقيقة ، لأننا إذا أغفلنا جانباً .. عامل الحظ .. فالنجاح فى الأعمال يكون بقدر ما يتوافر فى الفرد من كفاية شخصية ...

لكن معظم أحوال التفاوت فى الدخول ترجع إلى أن تسابق الناس لإحراز الدخل لا يقع فى ظروف متماثلة ، وحتى إذا توافقت هذه الظروف فإن كثيراً من الأحداث الهامة تقع فى غضون حياة الناس فتعوق سعيهم للحصول على دخل .

ومن الآراء الشائعة ما يقول به البعض من أن معظم أحوال التفاوت أمر محتوم لا مفر منه ، وأنه إذا وُزعت الثروة بالتساوى بين الناس فلا تنقضى فترة قصيرة من الزمن حتى تظهر من جديد أعراض التفاوت ..

ومعنى هذا أنه إذا انجلت فجأة حالة التفاوت ، مع بقاء الأسباب التى أفضت إليه

فى الماضى ، فلن تتوانى حالة التفاوت من أن تبرز من جديد كالسفينة المثقوبة التى ينزح إليها الماء لا تلبث أن يجوس الماء خلالها ما دام الثقب لم يرأب ، والصدع لم يشعب . .

وهذا الرأى لا يلقى ضوءا جديدا يوضح أسباب هذا الخلل أو يبين كيفية إصلاحه . .

ومن الخطل أن نرجع التفاوت إلى ما ركب فى طبيعة الإنسان من حب النفس (أى السعى لتحصيل ما يكفل للانسان ولأفراد أسرته المنافع الاقتصادية) ، وأن التفاوت يزول بزوال باعث المصلحة الشخصية ، واتفاق الناس على أن يتقاسموا بالتساوى ناتج عملهم . . وقد قال بهذا الرأى فريق من الكتاب السابحين فى الخيال ، لكن المحقق أن الناس لو نبذوا باعث المصلحة الشخصية لكان مصيرهم فى القريب العاجل إلى الفناء .

ولا يجدى أيضا نسبة التفاوت إلى النظام الرأسمالى الحاضر ؛ فالمعروف أن التفاوت كان معروفا قبل النظام الحاضر ، وهو معروف فى البلدان التى قلبت هذا النظام واستبدلت به نظاماً آخر مثل « روسيا » حيث يستولى ١٠ ٪ من السكان على ٥٠ ٪ من الدخل القومى . . كذلك لا فائدة من القول بأن حرية التعاقد كانت فى غابر الأزمان سببا لهبوط الأجور وساعدت على زيادة التفاوت . والحقيقة أن التفاوت فى الدخول مرده إلى ملكة الابتكار والإقدام والمثابرة وما إليها من الفضائل والمواهب التى برّزت الأبطال الفاتحين ، وسخرت الحظوظ وألزمتها الطاعة لمشيئة الإنسان . .

ففى عهد الإقطاعيات وفى كل المجتمعات المنظمة على أساس الطبقات بقى التفاوت قائما بحكم القانون ، وفى الوقت الحاضر ، وفى مجتمعاتنا التى تستند إلى نظام الحرية والمنافسة تتجه بعض المزايا نحو البقاء من طريق البيئة والفرصة والميراث .

ويمكن إرجاع أسباب التفاوت إلى :

(١) نفقات التعليم (٢) البيئة (٣) فروق الكفايات الطبيعية (٤) الميراث :

١ — نفقات التعليم : تفضى نفقات التعليم إلى زيادة الجزاء . . ولا مراء فى ذلك إذا تولى الآباء الإنفاق على أبنائهم حتى ولو كان التعليم مجانياً ، لأن هذا لا يعفى من تحمل الآباء بعض الأعباء كالمأكل والملبس وما إليها وليس فى مقدور الطبقات الفقيرة ، الاستمرار مدة طويلة على تحمل هذا العبء ، لأن ابن العامل إذا وصل إلى سن المراهقة انتزعه والده من الدراسة ودفعه إلى ميدان العمل . وقلما يستطيع العامل أن يمكن ابنه من متابعة دراسته إلا إذا تلقى عوناً من معاهد الإحسان ، أو إذا كان الولد على جانب عظيم من الكفاية .

وبالجملة لا يستطيع الفقير فى أغلب الأحوال أن يصل بابنه إلى أقصى درجة من درجات

التعليم . وهذا هو سبب اختلاف الجزاء وما يترتب عليه ، من خلق طبقات اجتماعية تعتمد عليه .. واستمرار بقاء هذه الطبقات وحصول الشخص على قسط كبير من التعليم يدفعه إلى أن يتوافر هذا التعليم لابنه ، وعدم حصول العامل أو الفقير على قسط من التعليم هو فى الواقع عقبة كأداء تمنع ابنه من الحصول عليه ! .

لذلك تؤثر نفقات التعليم فى الأجور من وجهين : —

أولهما : أنها ترفع الجزاء الذى يتلقاه الشخص إلى المستوى الذى يجعل تحمل هذه النفقات مجديا .

ثانيهما : أنها تقيد المنافسة فتمنع الجماهير من الوصول إلى المراكز المرموقة التى لولا التعليم لاندفعوا فى طلبها .

٢ — البيئة : وهى ثانى موانع حرية التنقل ولا يمكن فصلها من التعليم والتدريب فهى — إلى عامل نفقات التعليم — تضيف مانعاً جديداً يمنع المنافسين المحتملين من السعى إلى غشيان المراكز الممتازة . فكل الملابسات الاجتماعية المستمدة من التعليم والحياة العائلية ، وقوى المثل والتقاليد تحمل الشاب على السير فى الطريق الذى سلكه آباؤه من قبل .

وقد يعمل النابه الموهوب على الخروج من بيئته للوصول إلى أعلى الدرجات ، لكن جمهرة الفقراء تقبل أو ترضى بالحالة التى اعتادتها .

٣ — فروق الكفايات الطبيعية : كان الاعتقاد السائد فى القرن الثامن عشر أن الناس متساوون فى المواهب الأخلاقية والعقلية ، ويقول (آدم سميث) : « إن الفرق بين الفيلسوف والحمال مرده إلى العادة والعرف والتعليم » . وكان (روسو) يرى أنه يستطيع بالتربية الحسنة أن يشكل حسب مشيئته مواهب الناس . وكان (أوين) يرى أن الإنسان ليس بطبيعته خيِّراً ولا شريراً ؛ ولكنه يتكيف بالبيئة التى يعيش فيها وأنه إذا أصلحت البيئة الاجتماعية صار الناس عمالا مجدين متحلين بالفضيلة . .

وفى القرن التاسع عشر أثبت العلم بزعامة (داروين) فساد هذه النظرية لأنه إذا كان الإنسان وليد البيئة الاجتماعية فكيف يستطيع أن يغيرها ، وأثبت أن الناس تختلف مواهبهم بعامل الوراثة . ومعنى هذا أن المراكز الحسنة التى تتمتع بها الطبقات الممتازة مردُّها جزئياً إلى الصفات الطبيعية التى تنتقل من جيل إلى آخر .

واختلاف الجزاء وبالتالى تفاوت الطبقات الاجتماعية مرده إلى المواهب الطبيعية ؛ ففى كل طبقة اجتماعية ، بل فى كل مهنة يتمتع بعض الأفراد بمواهب استثنائية نادرة

يترتب عليها حصولهم على جزاء يزيد على الجزاء المألوف . . فهناك محامون وأطباء وسفراء ومخترعون ورجال أعمال وهبتهم الطبيعة صفات نادرة ، وقد يساعدهم التعليم وتعوق نجاحهم البيئة ، لكن القول الفصل للكفاية الطبيعية أو الغريزية التى لا فضل لهم فيها . . وقد نستطيع أن نتعقب الوراثة ، لكن مقدار الكفاية أو الكفايات التى تنتقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء لاتخضع لقانون معروف .

والأمر الذى لاشك فيه هو اختلاف الكفاية بين الناس — سواء أ كان هذا بين العبقريين أو الأذكياء — ولو أن أسباب هذا الاختلاف لايمكن استقصاؤها .

يترتب على هذا أن بعض الأفراد يكسبون أكثر من غيرهم ، وأن تفاوت الجزاء فى نظام المنافسة أمر لامفرّ منه .

ومن الأمور العسيرة معرفة ما إذا كانت توجد بين الطبقات الاجتماعية فروق عامة فى الصفات العقلية والأخلاقية أو خاصة . . هل يتوافر فى المالكين الميسورين بالجملة صفات معدومة فى الطبقات الفقيرة ؟

إذا استقصينا البحث منذ الوقت الذى ظهرت فيه الفروق الاجتماعية نرى أن من شقّ طريقه فى وسط جمهرة الناس ووصل إلى أعلى المناصب مرده إلى استجماعه لفضائل ومواهب طبيعية . . فقد كان رؤساء القبائل يرقون إلى الحكم بسبب شجاعتهم ودهائهم ، وكان الأشراف والأمراء فى عهد الإقطاعيات القواد الطبيعيين ، وكان التجار الذين تكوّنت منهم الطبقة الوسطى فى المدن ذوى دهاء وكفاية . . وأقيسة الوراثة تفترض أن صفات هؤلاء الأجداد انتقلت إلى أبنائهم وأحفادهم . . وأن الطبقات العليا فى الزمن الحاضر تتكوّن من أشراف عصاميين ، وإذا كانت الوراثة ليست مطردة فى مظاهرها الفردية فإنها مطردة ومستمرة فى مظاهرها العامة : أى بالنسبة لعدد كبير من الناس . .

فإذا قارنت ألف طفل من آباء نابهين بألف طفل من آباء خاملين وجدت الفريق الأول هو المتفوّق ، ولو أن عبقرياً قد ينشأ من الفريق الثانى . فهل يجوز لنا أن نستنتج من هذا أن الفروق العامة بين الطبقات الاجتماعية تستند إلى فروق فى مواهبهم العقلية والخلقية ؟ .

إن توزيع النجاح فى الحياة يظهر كثرة عدد النابهين فى الطبقات الرفيعة ، وإحصاءات عظماء الرجال تبين أن الأرستقراطية والطبقات المتوسطة والمقيمين فى المدن قدمت معظم الكتاب والسياسيين والقواد وزعماء الصناعة بالنسبة لعددهم . . وحتى العبقرية

ظهرت دائما بينهم .. وهذا يؤكد نظرية أن المواهب الطبيعية تختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية .

وقد تنهض هذه الإحصائيات دليلا على سلطان الفرصة والبيئة . فكل من وهبه الله كفاية عقلية واتصل بالأشخاص المتوسطين فى الطبقة الراقية لابد أن يلاحظ ضيق عقولهم وغباوتهم ورضاءهم واغتباطهم ونذالتهم . ويتردد فى الاعتقاد بأنهم وذريتهم أحرزوا النجاح بسبب مواهبهم الخارقة للعادة .. ولا يعدو أن يلمح أن سبب نجاحهم يرجع القسط الكبير فيه على الأقل إلى التعليم والبداية الحسنة ، التى تخلق البيئة ، وإذا ارتقى عدد قليل من الطبقة الدنيا ، فسبب ذلك تعذر وصول الكثير منهم من ذوى الكفايات إلى المراتب العالية ، ولا ينجو من شباك الوسط المميت إلا من كان ذا مواهب نادرة . ويعتقد بعض المفكرين أن هناك معينا للكفايات فى الطبقات الدنيا لايقل شأناً عن المعين الموجود فى الطبقات الموسرة . ولكنه يبقى سا كنا ! .

فالفروق بين الأفراد تظهر بوضوح وجلاء . أما الفروق بين الجماعات فإنه لم يقم الدليل على صحتها ، أو على وجودها .

يضاف إلى ما تقدم أن الطبقة الممتازة لاتنقل إلى أعقابها دائما الصفات التى أحرزت بها النجاح . بل إن الأبناء تستولى عليهم السآمة والضعف بسبب استمرار المزايا التى تلقوها عن آبائهم . . ولا سبيل إلى حفظ حيوية الطبقات العليا ومنعها من الانحطاط إلا إذا خالطت الطبقات الفقيرة بالمصاهرة . . وهذه العبرة مستفادة من تاريخ العائلات المالكة والبيوتات النبيلة . . وتشاهد هذه الظاهرة أيضا فى الطبقات المتوسطة .. وذلك لأنه إذا توافرت سبل الحياة وسهل الكسب وضعف الكفاح للوصول إلى أعلى المناصب ضعفت الحيوية للبقاء . . ويستطيع المتوسط الكفاية أن يحتفظ بمكانته .. ولا يحرز النجاح المستمر إلا من خرج عن حد المألوف فى كفايته . وتساعد البداية الحسنة والعون المستمر الأفراد ذوى الكفايات المتوسطة على البقاء فى عداد الطبقة الممتازة وتمكنهم من الاحتفاظ بمراكزهم ومناصبهم . .

وهذا الذى نقرره من العسير إثباته ، ولم يحل بعد . .

وقد يظل هكذا مدة طويلة من الزمن ولا يمكن اللجوء إلى الطريقة التجريبية ، إذ لا يمكن وضع ألف طفل من أبناء الطبقة العليا وألف آخر من أبناء الطبقة الدنيا ، ووضع الألفين فى ظروف واحدة من حيث التعليم والبيئة وانتظار مقدار نجاحهم فى الحياة . .

وكل ما نستطيع عمله هو الالتجاء إلى طريقة الملاحظة . وهذه الطريقة يقلل من قيمتها قلة المشاهدات الممكنة وصعوبة المعلومات وتعقدها والآراء المتأصلة فى الأشخاص الذين يقومون بالملاحظة والمشاهدة .

ومع أن شواهد علم الحياة تقوِّى الرأى القائل بأن الوراثة هى كل شىء ، إلا أن الحقائق البسيطة التى تستخلص من مشاهداتنا اليومية تدل على أن الفرصة والبيئة لهما أهمية كبرى . .

فبالنسبة للأفراد ذوى الكفايات الممتازة تبين لنا بوضوح مزايا التعليم والتدريب إذا لقنوها منذ نعومة أظفارهم ، وتلقوا العون فى بداية حياتهم العملية . .

وبالنسبة للأفراد ذوى الكفايات الخارقة للعادة يقل اعتمادهم على العون العارض الأجنبىّ عنهم . فمشاهير القواد يولدون ولا يصنعون . أما من عداهم من الضباط فيمكن صنعهم بالتعليم . .

وقد يوجد فى عداد الجنود من يكون مستعداً لأن يكون ضابطا متوسطا ولكنهم يظلون فى الصفوف لعدم وجود فرص تمكنهم من إبراز صفاتهم الجيدة .

وسواء أكان تركيب الطبقات الاجتماعية الحالية مرده إلى أسباب طبيعية أو كان مردُّه إلى الفرصة والتعليم ، فإن تنقل العامل من طبقة إلى طبقة ليس حرًّا : أى أن من يولد أو يوضع فى طبقة معينة يبقى عادة فى هذه الطبقة ولا ينافس من كان فى طبقة أخرى .. وهذه المنافسة عسيرة بالنسبة لمعظم الناس ومستحيلة بالنسبة للكثير منهم ؛ أى انتقالهم من طبقة وجدوا فيها إلى طبقة أخرى ممتازة عنها .

(للبحث بقية)

قيمة كل أمرىء ما يُحسن .

« على بن أبي طالب »

النظام الرأسمالىّ الجديد

للأستاذ السيد أبى الأعلى المودودى

نقلها إلى العربية السيد محمد عاصم الحداد

(٥)

٦ — وأدهى من كل ذلك أنهم أباحوا للأفراد وجعلوا من حقهم المشروع أن يكنزوا المال ويعطوه الناس بالربا . ومما لا شك فيه أن الربا ما زال منذ قديم الزمان موجوداً فى أكثر مجتمعات العالم باعتباره سيئة بغيضة احتملتها قوانين العالم على كره منها فى أكثر الأحيان .

ولكن الذى امتاز به مفكروا طبقة البورجوازيين فى الجاهلية الغربية الجديدة بعد الجاهلية العربية القديمة أنهم جعلوا الربا هو الصورة المشروعة الوحيدة للتجارة ، والبناء الصحيح الوحيد للنظام المالى كله ، ووضعوا قوانين البلاد على طرق جعلتها سنداً وعوناً لمصلحة المرابى دون مصلحة المدين — وسنفصل القول فى هذا الخطأ العظيم ونتائجه الوخيمة فى ما يأتى من البيان إن شاء الله — فأصبح أرفه الناس وأسعدهم فى المجتمع من جمع المال وكنزه بطريق من الطرق أو حيلة من الحيل . أما أصحاب المواهب الفكرية والقائمون بالعمل وواضعو المشروعات التجارية ومنظموها ومسيرو التجارة فى كل مرحلة من مراحلها والقائمون بجميع الخدمات المتعلقة بإنتاج الأدوات الاستهلاكية وتهيئتها ، أما هؤلاء فأصبحوا لا يقام له وزن إزاء ذلك الفرد الذى يقرض ماله للتجارة ثم يجلس فى بيته وادعاً مطمئناً . فهؤلاء كلهم ليست لهم أرباح مضمونة ولا محدودة . وأما هذا الذى يعطى ماله بالربا فمنفعته معينة مضمونة . وهم كذلك لا يزالون يخافون ، على أموالهم أنواعاً من الخسارة ، وأما هو فلا يخشى شيئاً من ذلك فالربح له مضمون على كل حال . وهم مضطرون بطبيعة الحال إلى رعاية تجارتهم والتفكر فى مصيرها وما يؤول إليه أمرها من ربح أو خسارة . وأما هو فليس يشغله شىء ولا يهمه إلا رباه : فإن وجد السوق نافقة قدم أمواله فيها إلى أن يظهر له أن فرص الربح على وشك الانتهاء . وإن وجد السوق كاسدة أمسك وشرع فى استرداد ما يكون

قد استغل فيها من رأس ماله إلى أن تنتاب الدنيا كلها نوبة شديدة من الكساد والبوار . فكل قد يواجه الخسران والضيق والخطر فى كل حال ، أما هو فغاية ما يصيبه فى ماله إنما هو زيادة أو نقص فى المنفعة . وهو لا يستعبد التجار والصناع وملاك الأراضى فقط ، بل يوقع الحكومات فى أشراكه فتراها تنشىء بأمواله الشوارع وسكك الحديد والترع وما إليها من المشاريع الأخرى فى البلاد ، ولا تنفك تجبى الضرائب فى سبيل الوفاء بدينها والربا المرتب عليه من كل واحد من أهالى البلاد أعواماً طويلة قد تتعدى إلى القرون . والعجيب أنه إن تعرضت الأمة لحرب من الحروب لا تبالى بمن قتل أو جرح أو نكب فى بيته أو أصيب فى أبيه أو ابنه أو اللاتى أصبن فى أزواجهن من النساء ، فإن هؤلاء جميعاً قد تتخلى عن الوفاء بحقهم خزانة الدولة بسهولة . أما الذين أقرضوا الدولة وهم من أبناء الأمة ، فلا تزال الخزانة تؤدى إليهم رباهم إلى مئات السنين ، وقد يضطر أولئك الذين كانوا قد ضحوا بنفوسهم فى تلك الحرب إلى الاكتتاب مع غيرهم أداء لهذا الربا . هكذا يظلم هذا النظام المالى المبنى على الربا العاملين الحقيقيين المنتجين للثروة من كل جهة ومن كل وجهة ظلماً شاملاً ، حيث قد فوض أزمة الاقتصاد الاجتماعى كله إلى طائفة من المتمولين والرسماليين المستأثرين الذين لا تهمهم سعادة المجتمع ولا فلاحه ولا يسدون إليه نوعاً من الخدمة .

ولكنهم لما كان فى أيديهم روح الشئون الاقتصادية كلها وهو رأس المال . وقد أعطاهم القانون الحق فى جمعه واكتنازه والمراباة عليه ، لم يكونوا المستغلين الرئيسيين للثروة الناشئة من جهود المجتمع العامة وحسب ، بل أصبحوا قادرين أيضا على أن يستخدموا المجتمع كله فى مصالحهم الشخصية ويلعبوا بمقادير الدول والشعوب .

٧ — إن المجتمع الجديد الذى تكون على أسس الرأسمالية الجديدة هذه خلواً من المواساة والتعاون والتراحم والتراؤف وما إليها من العواطف الشريفة الإنسانية ، وزاخر بأخس الصفات ، وتلاشى من هذا المجتمع حق الأخ على أخيه فى التكامل والتساند . ولقد كان صاحب اختراع كل آلة جديدة يعطل مئات وألوفاً من العمال دفعة واحدة ، وتخلى الحكومة المصنع والأغنياء والمتمولين عن العناية بكفالة العاطلين أو العجزة ممن لم يعودوا قادرين على العمل . وليس هذا وحسب ، بل فإن هذا النظام الجديد قد أنشأ من الأثرة والغش فى الأفراد أخلاقاً لم يعد بعدها من واجب أحد أن يقبل لأحد عثاراً . وإن كان هذا النظام قد فكر فى شىء من العلاج للنكبات أو الأمراض وما إلى ذلك من حالات الطوارىء الأخرى ، فإنما فكر فيما يتفق وصالح أولئك المتمولين . وأما

الذين لا كسب لهم أو إنما يكسبون قدر ما يسدون به رمق حياتهم ، فمن أين يجدون المعونة لأنفسهم فى النوازل والطوارئ ؟ . . . هذا سؤال لا يجب عليه النظام الرأسمالى الجديد إلا بأن يذهب الرجل من هؤلاء المنكوبين إلى أحد المتمولين وليستقرض منه ما يمكن استقراضه على أسعار فاحشة من الربا بعد ما يقدم إليه ما يملكه من الملابس والأوانى وحلى نسائه رهناً لهذا الدين . فإذا لم يستطع أن يؤدى إليه قرضه مع الربا الفحش ، استقرض منه مرة أخرى على أسعار باهظة من الربا ليؤدى ما كان عليه من أثقال الربا السابقة .

٨ — ومن الظاهر أنه إذا كان فى المجتمع مئات الألوف من العاطلين وملايين ممن لا يكسبون إلا قليلا لا يمكنهم من شراء البضائع التى يرون الحوانيت والدكاكين مكتظة بها فى الأسواق على حاجتهم الشديدة إليها ، فليس للصناعة ولا للتجارة مجال للازدهار . ومن هنا نرى أنه وإن كان فى الدنيا من وسائل الارتفاق ما لا يأتى تحت العد والحصر ، وفيها ملايين من القادرين على العمل وهم فى حاجة إلى تلك الوسائل ، ومع ذلك فإن البضائع التى تنتجها مصانع الدنيا ، وإن كانت أقل مما هى قادرة على إنتاجه ، لا تزال الأسواق غاصة بها لأن الناس ليس عندهم من الأموال ما يمكنهم من شرائها ، وكذلك يتعطل ألوف العمال لأن البضائع التى تنتج فى المصانع زيادة على أنها محدودة فإنها لا تستهلك فى الأسواق فلا تكاد تعود بمنفعة . فضلا عن أن يتجرأ أحد على بذل المال فى ترقية الوسائل الأخرى .

هذه الصورة تستأصل استدلال الرجال البورجوازيين ، الذى جاءوا به تأييداً لدعواهم بأن سعى الأفراد لمنافعهم الشخصية فى الاقتصاد الحر لا يزال بنفسه يهيء الأسباب لرقى الوسائل والذرائع وزيادة الإنتاج ، فقد أثبتت التجارب هنا أنهم قد أنشأوا العقبات والعراقيل فى سبيل منفعتهم أنفسهم ، فضلا عن الرقى والزيادة فى الإنتاج.

شكوى في كل مكان

لسماحة الأستاذ عبد الله كنون

عالم طنجة

نعم شكوى فى كل مكان من هذه الأفلام الخليعة التى يقال إنها عربية ، والتى نشطت دور السينما بالمغرب فى استيرادها وعرضها على الجمهور منذ أمد بعيد ، مستحوذة بذلك على آخر درهم بقى بيد هذا الشعب الفقير ، وعاملة فى هدم حصون أخلاقه التى كانت تحجزه عن كثير من الآثام فإذا به يرتمى فى أحضان الرذيلة منساقا إليها بالقدوة السيئة والدعوة الملحة تترامى إليه من الشرق الذى يجله ويقتدى بهداه . . .

أن أول ريبة فى هذه الأفلام ، هى السهولة التى يجدها الموردون لها من مصر فى هذه الظروف العسيرة ، لا يقف فى طريقهم قانون رقابة ولا حاجز جمرك ، ولا صعوبة حصول على العملة النادرة مما يعانيه تجار البضائع الأخرى غير هذه الأفلام .

والكتب أول ما يخطر ببالنا حينما نسجل هذه الملاحظة ، فإن مصر كما لا يخفى ، هى عاصمة الفكر العربى والبلاد المنتجة للكتب والصحف العربية أكثر من غيرها ، ولسنا بحاجة إلى ذكر العراقيل التى توضع فى سبيل توريد هذه البضاعة النافعة من مصر بحيث أصبحت الكتب المدرسية — فضلا عن غيرها — أندر من النادر فى أسواق الكتب بالمغرب لما كانت هناك أسواق كتب ، وما ذاك إلا لأن هذه البضاعة فيها غذاء للعقل وتهذيب للأخلاق وتنمية للشعور ، بينما الأخرى فيها القضاء المبرم على ما تبقى فى نفوس الناس من عفة وحياء وخلق كريم .

وريبة ثانية هى أن أكثر الموردين لهذه الأفلام شركات صهيونية أو تمت إلى الصهيونية بسبب ما ، وذلك ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن القائمين على صنع هذه الأفلام فى مصر إما صهيونيون بالذات وإما جماعات من الإباحيين لا يقلون عن الصهيونيين سعيا فى الفساد وتشويها لسمعة العرب فى جميع البلاد ، فهم بذلك يرضون رغبات الصهيونيين ويجعلون الصهيونيين يعاونونهم ويشجعونهم ، ويتهالكون على هذه الأفلام يعرضونها فى دور السينما ، التابع أكثرها لشركاتهم ، أو لأفراد منهم ، يهدفون بذلك إلى هدفين اثنين أحدهما مادى وهو إفقار الطبقة البسيطة من المغاربة نساء ورجالا

وأطمالا ، لأن الجميع يتهافت على مشاهدة هذه الأفلام لما لها من الصبغة العربية ، والثانى معنوى وهو إفساد أخلاق الجمهور وإشاعة الميع والإباحية وجميع الشرور بين البرآة من النظارة .

وما نعتقد أن مصرياً صميماً يرضى عن هذه النتيجة أو يعمل لها من قريب أو بعيد ، فالمصرى وطنى يحب الخير لمصر ويغار على سمعتها والدين الإسلامى ، ومصر كانت حصن الدين وموئله ، وفيها الأزهر الشريف ، ودين دولتها الرسمى هو الإسلام ؛ فلا يصح أن يكون هذا الاستهتار ، وهذه الإباحية ، وهذا التقليد لأوربا فى الرذائل فقط ، هو طابع مصر والمصريين ، وهو المحور الذى تدور عليه الحياة الاجتماعية فى بلاد الكنانة ويمثل تمثيلا سخيفا فى هذه الأفلام .

عزيز علينا والله أن يأتينا هذا الشر من بلاد عزيزة علينا ، وشعبها وحكومتها معقد الرجاء ومناط الأمل لبلاد العروبة كلها ؛ فلينظر المسئولون فى وادى النيل ورجال الدين وقادة الفكر فى علاج هذه الحالة الشنعاء ، وليضربوا على أيدى المتلاعبين بكرامة الدين والوطن ، وليجعلوا حداً لهذه الفضائح فقد طفح الكيل وطم السيل . ولقد كنا نشتكى من هذه المجلات الفاجرة التى تعرض مفاتن النساء ومحاسن الغوانى تثير بذلك الغرائز السفلى وتلقن دروس الغواية للغافلين والغافلات من الشباب ، وكان خطرها قاصراً على قرائها والراغبين فيها وهم على كل حال جماعات قلائل ، فإذا بهذه الأفلام تغزو الجمهور القارىء والأمى والرجل والمرأة على السواء فإلى أين نحن سائرون ؟

ولا يقال إننا بالغنا فى هذا الأمر ، وجاوزنا الحد فى استنكار الأثر السيء الذى تحدثه هذه الأفلام فى نفس الشعب ، فلسنا نحن وحدنا الناقمين الساخطين المتبرمين من هذه البضاعة المنكرة ، بل إن صيحات الاستنكار والاستهجان لها لترتفع فى كل حين ومن كل جهة ؛ فهذه جريدة « منبر الشعب » الطنجية قد نشرت فى عددها ١٤٨ مقالا فى الموضوع لكاتب جزائرى بعنوان : « قل الحق ولو على نفسك » تنبيه أخوى إلى الحكومة المصرية الشقيقة حول بعض الأشرطة السينمائية الخليعة ، أجاد فيه ما شاء ، فذكر ما لمصر من فضل على العروبة ونهضة الإسلام وزعامتها للشرق ، ثم أنحى باللائمة على الحكومة المصرية التى تسمح برواج مثل تلك الأفلام التى لاتمت للدين ولا للأخلاق بسبب .

وهذه مجلة « الأديب » البيروتية تنقل فى عددها الأول من سنتها التاسعة مقالا فى الموضوع عن مجلة « السلوى » الأمريكية ، وقد عبر فيه كاتبه عن الخيبة المرة التى لقيها عرب المهجر لما شاهدوا هذه الأفلام وكانوا إليها فى شوق ، ومن جملة قوله

« فإذا كانت مصر لم تتقن حتى الآن فن إخراج السينما على الوجه الأكمل لأسباب فنية تحتاج إلى ممارسة طويلة وسليقة صناعية ، فما هو عذرها فى سخافة تلك المواضيع التى تبنى عليها رواياتها وتعرضها على الجماهير .

فمعظم هذه الروايات غربى الأوضاع لا يمت إلى مصر والبلدان العربية بصلة ، بل لا نغالى إذا قلنا أن أكثر هذه الروايات ممسوخ عن الحياة الأجنبية فى الغرب . . . »

إلى أن يقول :

« نحن لا نحتاج إلى السينما لتضرم فينا جذوة الحب والغرام . نحن شعب يريد أن يحيا وينفض عنه غبار الجمود ، ليسير فى موكب الأمم الحية ، أما أن نظل ننوح ونبكى على الحب ونئن من جراح الغرام ونموت تدلها ونتخنث بأخلاقنا ، فهذا لا حاجة لنا به على الإطلاق ، بل يقعد بنا عن طلب المجد والتسامى ونحن فى فجر تكويننا القومى .

ومن العجيب أن تكون هذه روح العرب وهم بجوار هوليود ، ولكنهم بجوار الأزهر يميعون حتى ينكرهم أهلهم وذووهم ؛ فيجب على مصر وحكومتها الرشيدة أن تزيل هذا العار عنها وعن العروبة والإسلام والشرق ، ولتعلم أنها قدوة الجميع فلتكن قدوة فى الخير والرائد لا يكذب أهله .



« ما عاقبتَ من عصى الله فيك ، بمثل أن تطيع الله فيه » .

« عمر بن الخطاب »

باب الكتب : نقد وتعريف

☆ الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين

☆ نظرة إجمالية فى تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند والباكستان

١ — « الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين » : للأستاذ كامل إسماعيل الشريف . نشر مكتبة وهبه حسن وهبه سنة ١٩٥٣ م — ٢٦٥ ص من القطع المتوسط .

لم تمتحن « الدول » الإسلامية كما امتحنت فى حرب فلسطين ، وليس كهذه الحرب ما يدعو إلى العظة والعبرة والإقرار بالأخطاء ، هذه الحرب التى صارت بها إسرائيل « المزعومة » دولة لها وجود فعلى وسياسى ! وذلك بسبب رؤساء هذه الدول الإسلامية وزعمائها الرسميين .

وهذه الحرب لا تزال بعض جوانبها غامضة تحتاج إلى كثير من الأضواء الكاشفة عنها ، وهذا الكتاب الذى نعرّف به فى هذه الكلمة « يكشف الكثير من أسرارها ، ويمزق الحجب عن أخطاء فاحشة أريد لها أن تظل مخبوءة » ، كما يقول كاتبه الفاضل فى مقدمة طبعته الثانية ، وسبيله فيما قصد إليه أن يسرد الحقائق المؤلمة من غير « رتوش » كما يقول : « فإن معرفة الأخطاء فى أول مراحل النجاح » ، لا يبالى فى ذلك إرضاء حاكم أو قائد أو زعيم .

وهو ، وإن كان يقصد أول ما يقصد إلى أثر « الإخوان المسلمون » فى هذه الحرب ، هؤلاء الإخوان المؤمنون الذين باعوا أنفسهم فى سبيل الله وصدقوا ما عاهدوا الله عليه : « فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » . نقول : إنه وإن كان يقصد إلى ذلك من كتابه ، فإنه أرخ لفلسطين نفسها وللحرب التى نحن بصددها ، ووضع بين الجيل الجديد الحقائق المجردة المؤلمة كما شهدها بنفسه . وذلك ، لعل هذا الجيل « يتخذ من هزائمنا جسراً يصل به إلى النصر الحاسم ، ومن أخطائنا وهفواتنا دروسا يستنير بها يوم يبدأ زحفه الميمون لتطهير الأرض المقدسة من أرجاس الإنسانية ونفايات الشعوب » (ص ١٨) .

هذا ، وقد بدأ المؤلف كتابه بفذلكة تاريخية عن فلسطين ، ثم تكلم عن تغرير بريطانيا بالعرب سنين طويلة ، وعن الطرق التى اتخذها العرب للدفاع عن حقوقهم

قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها ، وبعد هذا ، يصل إلى تدخل « الإخوان » فى قضية فلسطين واشتراكهم فى الحرب فيها (ص ٤١ وما بعدها) . ثم أخذ يفصل القول فى معارك هذه الحرب ، وفيما وضعت الحكومة السعدية أمام الإخوان من عقبات ، وفيما كان حتى انتهت الحرب بالكارثة التى نعرفها ولا نزال نعانى من جرائها ، وفى المسئولين من المصريين وغيرهم من زعماء البلدان العربية .

وفي هذا العرض الأخاذ المؤلم معا ، نرى كيف تفعل العقيدة المؤمنة ، وكيف كان إيمان شباب الإخوان يدفعهم للاستبسال والاستشهاد فى سبيل الله معرضين عما يحرص عليه الناس من متاع هذه الحياة الدنيا .

وهنا ، يصل بنا المؤلف إلى موقف الإخوان المجيد حين أبلغوا وهم بالميدان قرار حل جماعتهم ، وهى الجريمة التى اقترفتها الحكومة السعدية ، والأمر بأن يسلموا لقيادة الجيش ما تحت أيديهم من سلاح ومعدات حربية ، وكان أن قال المؤلف باسم الإخوان لوكيل القائد العام للجيش المصرى (ص ١٨١) : « إننا نؤمن أن هذه الدعوة ليست قابلة للحل لأنها دعوة الله ، وحل الإخوان عندنا لن يتعدى نزع اللافتات وإغلاق الأبواب ، أما الدعوة فموضعها قلوب الصفوة المؤمنة وهى قلاع منيعة لا يمكن قهرها ولا اقتحامها » ، إلى آخر ما قال . ولقد صدق ؛ فالإخوان لم تعد جماعة أو جمعية محصورة فى مكان ، بل أصبحت فكرة استولت على قلوب المؤمنين من المسلمين ولا يقف أمامها أى حاجز من صنع البشر .

ويسير بنا المؤلف الفاضل بعد هذا ، ويرينا كيف اضطرت الحكومة السعدية مع ذلك إلى الاعتراف رسمياً ببطولة الإخوان (ص ٢٠٠ — ٢٠١) ، وكيف اضطرت قيادة الجيش فى فلسطين إلى طلب معونة الإخوان العسكرية (ص ٢٠٤ — ٢١٤) فبذلوها عن طيب خاطر لأنهم يجاهدون فى سبيل الله والوطن الإسلامى كله ، وظلوا هكذا حتى انتهت الحرب وجازتهم الحكومة على ما قدموا لله والوطن بالاعتقال والتنكيل .

وأخيراً ، يختم المؤلف كتابه القيم بذكره الحقائق التى يجب مواجهتها بعد أن انتهت الحرب نهايتها المعروفة ، وبالدعوة للكفاح من جديد (ص ٢٣٨ وما بعدها) وليس لنا بعد ذلك كله إلا أن نحمد للمؤلف جهاده ، وأن نشكر الناشر الفاضل على نشر هذا الكتاب الذى يفيد منه القارىء أجل فائدة .

* * *

٢ — « نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند والباكستان » : للأستاذ مسعود الندوى نشر لجنة الشباب المسلم سنة ١٩٥٣ – ١٥٩ ص من القطع الصغير

وهذا الكتاب الذى يحمل لنا « تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند والباكستان » يرينا كيف يسير دين الفطرة ويتمكن فى القلوب بعامة ، ويقفنا بخاصة على الطرق التى انتشر بها فى هذه القارة الواسعة . وفى الحق ، فهذه الرسالة اللطيفة « تعنى بتاريخ الإسلام ، لا المسلمين ، وما طرأ على الدعوة الإسلامية فى هذه البلاد من تطورات وتقلبات فى القرون الغابرة المتطاولة التى تمتد من فجر الإسلام إلى العصر الحاضر » ص ١٠

ومن المعروف أن من الطرق التى دخل بها الإسلام الهند ، هو صنيع التجار العرب الذين كانوا يرتادون بتجاراتهم هذه البلاد . ولكن فى تأصله فى هذه الأقطار وغيرها من الأقطار النائية ، يعود الفضل فيه إلى حد كبير إلى العلماء والمشايخ الذين هاجروا من أوطانهم فى بلدان الإسلام ودخلوا الهند دعاة مرشدين وخالطوا أهلها وعاشروهم ، ولقنوهم مبادئ الدين الحق وعلموهم آداب الإسلام ، فتأثر سكان البلاد بأخلاقهم (ص ١٥) . وهكذا ، تعرف أثر القوى الطيبة فى نشر الدين .

ويعرض المؤلف بعد ذلك (ص ١٤ وما بعدها) ، إلى عوامل تقلص الدعوة الإسلامية فى الهند فترة طويلة من الزمن ، ومنها جمود بعض العلماء والشيوخ وضلال بعض ملوك المغول مثل الملك أكبر المتوفى عام ١٠١٤ ﻫ بعد أن ملك خمسين عاما ، حارب فيها الإسلام بكل وسيلة . إلا أنه كان من لطف الله بهذه البلاد أن ظهر فيها علماء مجددون كان لهم أكبر الأثر فى الدعوة الإسلامية ، ويذكر المؤلف منهم عدداً غير قليل وعلى رأسهم الشيخ أحمد السرهندى (٩٧٧ — ١٠٣٤ ﻫ) الذى استطاع بجهاده وصلابته فى الحق حمل الملك « جهان » كير — ابن الملك أكبر — على إلغاء ما كان استحدثه أبوه من مراسم وقوانين ضد الإسلام .

وبعد هذا ، يقفنا الكاتب على الصراع الذى قام بين كلية عليكرة الشهيرة وبين مدرسة « ديُوبنْد » ، أى بين أنصار الجديد المتطرف والقديم الجامد ، مما أدى إلى محاولة التوسط بين هذين الطرفين بإنشاء « ندوة العلماء » و « دار العلوم » التابعة لها سنة ١٣١١ ﻫ (ص ٥٧ وما بعدها) ، ثم يتكلم بعد ذلك ، عن أثر شاعر الهند محمد إقبال ، وأبى الكلام ، ومولانا محمد على شقيق شوكت على ، فى البعث العلمى وإنعاش الروح الدينية .

والكتاب ، على صغره ، زاخر بعد ماتقدم كله بالحديث الدقيق عن موقف الهند بعد إلغاء الخلافة ، وعن التيارات والحركات العلمية الإسلامية والسياسة التى تسود الهند والباكستان فى العصر الحاضر ، وعن تأسيس الجماعة الإسلامية عام ١٩٤١ م التى انتخب السيد أبى الأعلى المودودى أميراً لها . وهذه الجماعة تقوم على الدعوة الإسلامية الخالصة ، البريئة من النزعات القومية الهندية ، والطاهرة من شوائب النزعات القومية الإسلامية الجغرافية (ص ٨٤) ، وهكذا نرى أن البلاد قد تخلصت إلى حد كبير من عوامل التفرقة الثقافية والدينية ، وذلك حين ألفت هذه « الجماعة الإسلامية » . كما أنها أخذت تسير فى الطريق المستقيم .

وأخيراً ، قدم الأستاذ العالم صديقنا محب الدين الخطيب للكتاب بمقدمة طيبة ، وختمته اللجنة الناشرة بتعقيب لخصت فيه أهم ما احتواه من آراء وأفكار قيمة ، وهذا وذاك ما يجعل القارئ يفيد منه فائدة كبيرة . أمد الله فى حياة « الجماعة الإسلامية » وفى حياة سائر إخواننا المسلمين العاملين هناك ، وبارك فى جهود المسلمين جميعا فى الدعوة للاسلام ونشر تراثه وتعارف أهله ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

قال عمر بن الخطاب لكتابه وعماله : « إن القوة على العمل ألا تؤخروا عمل اليوم إلى الغد ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تذاءبت عليكم الأعمال ، فلا تدرون بأيهما تبدأون ، وأيها تأخذون » .

« الطبرى »



* هدية الخمر للنبي قبل التحريم

* حديث خُتم

جاءتنا هذه الرسالة من الأخ الأستاذ محمود الخشاب موجهة إلى فضيلة أستاذنا الوالد الجليل الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا :

تحية من الله مباركة طيبة وجزاكم الله عنا خير الجزاء . وبعد :

فقد جاء فى مقالكم السابع بالعدد الرابع للسنة الثانية من « المسلمون » فى أحاديث السادات : نافع بن كيسان ، وعبد الرحمن بن وعلة ، وعبد الرحمن بن غنم الأشقرى أنه كان يُهدى إلى حضرة النبى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله راويات من خمر إلى عام الفتح الذى حرمت فيه الخمر .

فأرجو مخلصا ليطمئن قلبى أن تزيدونا نورا من نوركم لنفقه ونفقه إخواننا هل كان المعصوم يقبل هذه الهدية ويشربها وهو الذى لم يعمل بأعمال الجاهلية فى صباه ما تأباه عليه دعوته المنتظرة .

وإنا فى انتظار جوابكم فى العدد القادم ، وجزاكم الله الحسنى وزيادة .

***

وقد تفضل أستاذنا الكريم بالجواب على سؤال الأخ بالآتى :

حضرة الأخ المحترم الأستاذ محمود الخشاب حفظه الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبعد : فقد اطلعت على خطابكم وبه تستفهمون هل كان النبى صلى الله عليه وسلم يشرب من الخمر التى تهدى إليه قبل تحريمها أم لا ، والجواب عن ذلك أن الخمر كانت تهدى إليه قبل تحريمها حقيقة ، وأنها بنص الأحاديث الصحيحة كحديث عبد الرحمن بن وعلة رواه مسلم والإمام أحمد والنسائى والبيهقى ، وحديث

نافع بن كيسان رواه الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط وسنده حسن ، وحديث عبد الرحمن بن غنم رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والطبرانى فى الكبير وسنده حسن أيضاً . ولم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم شرب الخمر مطلقا لا فى جاهلية ولا فى إسلام ؛ ولا يلزم من الإهداء له أنه كان يشربها ، بل كان يقسمها على أصحابه قبل تحريمها ، ولذلك نظائر فقد أهدى أكيدر دومة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثوب حرير فأعطاه عليا فقال شققه خُمُراً بين الفواطم : يعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنه ، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب. ولم يلبسه صلى الله عليه وسلم ولم يأمر عليا بلبسه ، بل أمره أن يوزعه على النسوة لأنه يحل لهن لبس الحرير ، فكان صلى الله عليه وسلم يقبل هدايا الخمر قبل تحريمها ويوزعها على أصحابه لأنه يحل لهم شربها ، فلما حرمت لم يقبلها وأمر المهدى بإراقتها. وفى هذا القدر كفاية والسلام عليكم ورحمة الله .

وبعث إلينا فضيلة الأستاذ السيد تقى الدين القمى بهذه الرسالة التى جاءته من السيد محمد حسن الحسينى :

تحية إسلامية مباركة . . . كنا نود أن نكاتبكم فى غير ما نتناوله الآن ، كنا نود أن نكاتبكم فى معانى الود والإخاء التى رأينا آثارها بين زعماء المسلمين ممن عرفوا رسالة التقريب ، بل كنا نود أن نكاتبكم عن المؤلفين وأصحاب الصحف الذين اعتنقوا هذه الفكرة وسخروا أقلامهم لخدمة تلك المعانى السامية . إلا أنه لا يزال مع الأسف بعض أقلام لا تؤدى لهذه الرسالة حقها ، بل وتنتهز كل فرصة للنيل من الغير ، وهى وأن لم تكن تجرؤ على مهاجمة الغير بصورة طائفية فإنها تنال من مبادئهم أو ما هو ثابت عندهم ؛ من ذلك ما قرأته فى مجلة « المسلمون » بعنوان السنة ، وهى مجلة تطبع فى مصر البلد الذى فيه المركز العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية الموقرة مجلة نعتبرها امتدادا لمجلة الشهاب المغفور له الشهيد حسن البنا أحد الأعضاء المؤسسين لجماعة التقريب ، تلك الجماعة المؤلفة من مذاهب أهل السنة ومن الإمامية والزيدية من الشيعة ، مجلة بمقتضى اسمها تعتبر للمسلمين عامة لا لطائفة خاصة ؛ فما أغرب أن نجد فيها مقالات فى السنة كنا نود أن تكون لا تسىء إلى شعور الآخرين . ولا أعرف أى داع أو سبب خفى يجعل الكاتب حين يذكر الأحاديث غير المعتبرة أو على حد قوله الموضوعة يمثل بحديث

الغدير . وإليك ملخص مايقول : «وما وجدنا قط رواية عن أحد فى هذا النص البدعى إلا رواية واهية عن مجهول إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو فى الخلق» هذا بجانب ذكر كلمات مثل الرافضة . . . وكاتب المقال يرى انفراد الرافضة (كذا) بنقل الحديث دون جماهير المسلمين دليل على كذبهم فيه . . . نريد أن نلفت نظر صاحب مجلة «المسلمون» بأن يدقق فى مقالات تصله ولا يسمح ببذر السموم فى مجلته .

حديث خم لا تنفرد به طائفة دون أخرى وليس راويه مجهول نقل عن مجهول وإنى أنقل حرفياً جزءاً مما كتب حول هذا الحديث وعن رواته ليعرف كاتب المقال أن الحديث يكاد يكون كالمتواتر، وليس له أن يتلاعب بالسنة للنيل من الطوائف الأخرى . فقد جاء فى كتاب جامع للأسانيد هو (مراجعات صفحة ١٧٥) ما يأتى : بل لا ريب فى تواتره من طريق أهل السنة بحكم النواميس الطبيعية كما سمعت « لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وصاحب الفتاوى الحامدية (على تعنته) يصرح بتواتر الحديث فى رسالته المختصرة الموسومة بالصلوات الفاخرة فى الأحاديث المتواترة ، والسيوطى وأمثاله من الحفاظ ينصون على ذلك ، ودونك محمد بن جرير الطبرى صاحب التفسير والتاريخ المشهورين ، وأحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة ، ومحمد بن أحمد ابن عثمان الذهبى فإنهم تصدوا لطرقه فأفرد له كل منهم كتاباً على حدة ، وقد أخرجه ابن جرير فى كتابه من خمسة وسبعين طريقاً ، وأخرجه بن عقدة فى كتابه من مائة وخمسة طرق (نص صاحب غاية المرام فى أواخر الباب ١٦ ص ٨٩ من كتابه المذكور : أن ابن جرير أخرج حديث الغدير من خمسة وتسعين طريقاً فى كتاب أفرده له سماه كتاب الولاية ، وأن ابن عقدة أخرجه من مائة وخمسة طرق فى كتاب أفرده له ، ونص الإمام أحمد بن محمد بن الصديق المغربى على أن كلا من الذهبى وابن عقدة أفرد لهذا الحديث كتاباً خاصاً فراجع خطة كتابه القيم — الموسوم بفتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينة العلم على) والذهبى على تشدده صحح كثيراً من طرقه ، وفى الباب السادس عشر من غاية المرام تسعة وثمانون حديثاً من طريق أهل السنة فى نص الغدير ، على أنه لم ينقل عن الترمذى ولا عن النسائى ولا عن الطبرانى ولا عن البزار ولا عن أبى يعلى ولا عن كثير ممن أخرج هذا الحديث . والسيوطى نقل الحديث فى أحوال على من كتابه تاريخ الخلفاء عن الترمذى ، وأخرجه أحمد عن على وأبى أيوب الأنصارى وزيد بن أرقم وعمر وذى مر[1] (قال) وأبو يعلى عن أبى هريرة والطبرانى عن ابن عمر ومالك

(١) أخرجه أيضاً من حديث ابن عباس ص ١٣١ من الجزء الأول من مسنده من حديث البراء فى ص ٢٨١ من الجزء الرابع من مسنده .

ابن الحويرث وحشى بن جناده وجرير وسعد بن أبى وقاص وأبى سعيد الخدرى وأنس (قال) والبزار عن ابن عباس وعمارة وبريده اه — ومما يدل على شيوع هذا الحديث وإذاعته ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن رباح ابن الحرث من طريقين إليه قال جاء رهط إلى على فقالوا السلام عليك يا مولانا ، قال من القوم ، قالوا مواليك يا أمير المؤمنين ، قال كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب ، قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم يقول : «من كنت مولاه فإن هذا مولاه» قال رباح فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء قالوا نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصارى اه — ومما يدل على تواتره ما أخرجه أبو إسحق الثعلبى فى تفسير سورة المعارج من تفسيره الكبير بسندين معتبرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم غدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد على فقال : «من كنت مولاه فعلى مولاه» فشاع ذلك فطار فى البلاد ، وبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهرى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة له فأناخها ونزل عنها وقال يا محمد أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك ، وأمرتنا أن نصلى خمساً فقبلنا منك وأمرتنا بالزكاة فقبلنا وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شىء منك أم من الله ، فقال صلى الله عليه وسلم فوالله الذى لا إله إلا هو إن هذا لمن الله عز وجل ، فولى الحارث يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله سبحانه بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله وأنزل الله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج» انتهى الحديث بعين لفظه ، وقد أرسله جماعة من أعلام أهل السنة إرسال المسلمات .

وقد بعثت إلى سماحتكم بهذا لتقوموا بما ترونه لازماً ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

وقد كتبنا إلى فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعى فتفضل مشكوراً بهذا الجواب :

تعرضت فى المقالة السادسة من مقالات السنة وهى المنشورة فى العدد السادس من السنة الأولى من مجلة « المسلمون » للبواعث التى أدت إلى وضع الحديث والكذب فيه . وذكرت من جملة البواعث ، الاختلافات السياسية التى وقعت فى عهد الصحابة فمن بعدهم . . وقلت حينئذ . . ومن أمثلة ما وضعوه من الأحاديث حديث الوصية فى غدير خم ، وخلاصته أن النبى صلى الله عليه وسلم فى رجوعه من حجة الوداع جمع الصحابة

فى مكان يقال له غدير خم ، وأخذ بيد على رضى الله عنه ووقف به على الصحابة جميعاً وهم يشهدون وقال : « هذا وصي وأخي والخليفة من بعدى فاسمعوا له وأطيعوا » ثم قلت : وهو حديث مكذوب بلا شك وضعته الرافضة وسيأتى بيان كذبه » .

وفى المقالة الثامنة المنشورة فى العــدد الثامن من أعداد السنة الأولى تعرضت لعلامات الوضع فى الحديث ، وذكرت من علامته أن يتضمن الحديث أمراً من شأنه أن تتوفر الدواعى على نقله لأنه وقع بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ولا يرويه إلا واحد ، وبهذا حكم أهل السنة على حديث غدير خم (وهو الذى ذكرت نصه فى المقالة السابقة) بالوضع والكذب ، قال العلماء : إن من أمارات الوضع فى هذا الحديث أن يصرح بوقوعه على مشهد من الصحابة جميعاً ثم يقع بعد ذلك أن يتفقوا جميعاً على كتمانه حين استخلاف أبى بكر رضى الله عنه ومثل هذا بعيد ومستحيل فى العادة ؛ ثم نقلت قول ابن تيمية : « إن هذا النص لم يبلغه أحد بإسناد صحيح فضلا عن أن يكون متواتراً » ونقلت قول ابن حزم : « ما وجدنا قط رواية عن أحد فى هذا النص المدعى إلا رواية واهية عن مجهول إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو فى الخلق » .

وبهذا يتبين أن الحديث الذى نقلت أقوال العلماء بتكذيبه هو الذى ورد فيه النص على استخلاف على رضى الله عنه على ملأ من جمهور الصحابة فى غدير خم ، وهذا مالم يرد فى كتاب من كتب السنة المعتمدة عند علماء الحديث ، وهو عندى مكذوب لاشك فيه إذ لم نجد أحداً من الصحابة — حتى عليا رضى الله عنه — استشهد به فى أحاديث السقيفة فما بعدها يوم استخلف أبو بكر رضى الله عنه ، ولو صح أن النبى أوصى فى غدير خم بالخلافة صراحة إلى على لما خفى ذلك على الصحابة بعد وفاته ولما أمكن فى نظر العقل أن يتواطؤا جميعاً على كتمانه ، ويوافقنا فى هذا الرأى أفاضل علماء الشيعة ومنصفوهم ، فقد قال ابن أبى الحديد « واعلم أن الآثار فى هذا الباب — فى خلافة الرسول بعد وفاته — كثيرة جداً ، ومن تأملها وأنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح » . إلى أن قال « ولا ريب أن المنصف إذا سمع ماجرى لهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم قطعا أنه لم يكن هذا النص[1] » .

أما ما أشار إليه الفاضل « محمد حسن الحسينى » فى اعتراضه من أنه حديث مشهور أفرد له الطبرى مؤلفاً خاصاً ورواه من خمسة وتسعين طريقا ، فهو حديث آخر روته

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ / ١٣٥

كتب السنة وهو بلفظ يختلف تماماً عن الحديث الذى حكمنا بوضعه ، ولفظه : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وهذا هو الذى صححه الذهبى وغيره ، وادعى السيوطى أنه متواتر ، ونحن نقول به ونشهد أن علياً رضى الله عنه مولانا وإمامنا وابن عم رسولنا صلى الله عليه وسلم . وأريد أن أصحح ماورد فى اعتراض الفاضل الشيعى من أن ابن جرير الذى ألف كتاباً فى هذا الحديث هو ابن جرير المشهور صاحب التاريخ والتفسير المشهورين ، فهذا وهم وخطأ ، بل محمد بن جرير هذا هو غير ابن جرير المشهور وهو كما يقول ابن أبى الحديد عنه من رجال الشيعة ، وأظن أن أمه من بنى جرير من مدينة أهل طبرستان ، وبنوجرير الآمليون شيعة مشهورون بالتشيع ، فنسب إلى أخواله ويدل على ذلك شعر مروى له وهو

فبآمل مولدى وبنو جرير فأخوالى ويحكى المرء خاله
فمن يك رافضياً عن أبيه فإنى رافضى عن كلالة(١)

وبهذا يتبين أن ما ادعاه الأخ المعترض من أننا نتلاعب بالسنة للنيل من الطوائف الأخرى ، وأننا ننشر السموم ونعمل على التفرقة » غير صحيح ، بل هو الذى تلاعب بكلامنا وادعى أن الحديث الذى حكم العلماء بوضعه ، حديث صحيح مشهور بل متواتر ، فمن المتلاعب بالسنة ومن الذى ينال من الطوائف الأخرى ؟ .

أما ذكر « الرافضة » فى صدد بحث علمى لاعلاقة له بالسياسة ولا بالعاطفة ، فهو اصطلاح خاص يطلق على غلاة الشيعة الذين كفّروا أبا بكر وعمر وعثمان وأبا عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وجمهور الصحابة ولم يستثنوا من الكفر إلا خمسة أو ثلاثة عشر منهم فقط وهم الذين اعترف ابن أبى الحديد — وهو من كبار علماء الشيعة — بأنهم كانوا أول من كذب فى الحديث على النبى صلى الله عليه وسلم ليزيدوا فى فضائل على رضى الله عنه ماليس بحاجة إليه .

فإذا أطلقنا لفظ « الرافضة » على من يكفر هؤلاء الصحابة وهم حملة الشريعة ونقلة الإسلام وهم الذين وصل إلينا القرآن والتشريع عن طريقهم ، فإنما نريد بذلك أن نبرىء جمهور الشيعة من أكاذيبهم ومغالاتهم ، ولا أظن أن الكاتب الفاضل ومن عداه من أفاضل علماء الشيعة يرضون أن ينسب إليهم تكفير أبى بكر وعمر وجمهور الصحابة الذين لم تر الإنسانية أكمل من أخلاقهم ولا أرضى لله من دينهم .

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة : ١/٣٢٧

أما التقريب بين المذاهب والدعوة إلى اجتماع شمل المسلمين فالله يعلم أننا ممن يدعو إلى ذلك ويعمل له ، وحياتنا العملية شاهد صدق . ولكننا لا نفهم التقريب ستاراً يخفى وراءه التعصب ضد الصحابة والثبات على إساءة الظن بدينهم وتقواهم وأمانتهم ، بل نحن لا نرى فى ذلك إلا شعوبية خبيثة دخلت على الإسلام لتشكك المسلمين فى نقلة دينهم وخلفاء نبيهم وحملة رسالته إلى أمم العالم ، وإن أول شروط التقريب بين المذاهب أن نحتكم إلى القرآن والثابت من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهل فى كتاب الله أم فى سنة رسوله الصحيحة مايجعل الصحابة كلهم كفاراً إلا خمسة أو ثلاثة عشر ؟

أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن على رضى الله عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : فيك مثل من عيسى بن مريم : أبغضه اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التى ليس به ثم قال : يهلك فىّ رجلان : محب مفرط يقرظنى بما ليس فىّ ، ومبغض يحمله شنآنى على أن يبهتنى » اه .

ونحن نشهدك اللهم أنا نحب عليا ابن عم نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حبا يملأ شغاف قلوبنا ، ونراه بالمنزلة التى تحله مكان الصدارة بين جمهور الصحابة ؛ ولكننا نبرؤ إليك من أن نكون فى حبه من المفرطين ! .

مصطفى السباعى

« يذكر الأخ القارىء رسالة نشرناها فى ندوتنا حول مقال « كيف نحج ونزور » فى العدد العاشر من السنة الأولى ، وقد فهم بعض الأخوة القراء أن هذا المقال لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين ، والحقيقة أن المقال ليس لفضيلته ، ولكنه لأستاذ فاضل من أسرة التحرير » .

إن لبدنك عليك حقا

بإشراف الأميرلاى الدكتور أحمد الناقة

نلخص الأسئلة التى وردت ونجمل الإجابة عليها فيما يلى :

س ١ : زكام وحكة منذ ٥ سنوات عولجت بجلسات كهربائية . وأشار أحد أطباء الصدر بأنه لا داعى للعلاج الكهربائى .

ج : نؤيد رأى طبيب الصدر ونرى استشارة طبيب الأنف .

***

س ٢ : التهاب وألم وعرق وتشقق فى الجلد بين أصابع القدمين ، لم تفد صبغة اليود ولا الحناء .

ج : هذا مرض معد يمكن علاجه بما يأتى إذا لم يتيسر استشارة الطبيب : —

١ — خمس جرام برمنجنات البوتاس تذاب فى لتر ماء ويعمل بها حمام قدم لمدة عشر دقائق ثم يجفف القدم ويدهن بالمحلول الآتى :

٢ — جنتيان بنفسجى مذاب فى كحول بنسبة ٢ ٪ ويكرر الحمام الأول والمحلول الثانى كل (١٢) ساعة لبضعة أيام حتى يتم الشفاء .

***

س ٣ : بعض النساء يحترفن استخراج الدود من أنوف وآذان الأطفال .

ج : الدود هو يرقات ذباب يتغذى على الأنسجة المتقيحة فى الأنف أو الأذن (اليرقات هى طور فى حياة الذباب يخرج فيه الذباب من بويضاته على شكل دود قبل أن تظهر أجنحته ، وهو بعينه دود المش المعروف) ، فإذا كان السائل يقصد هذا الدود فإنه يجب عرض الأطفال المصابين على الأطباء لوصف العلاج اللازم ، أما غير ذلك من أعمال الشعوذة فنحذر منه .

***

س ٤ : ديدان صغيرة تخرج من الدبر أثناء النوم هل هى اسكارس وماالعلاج ؟ وهل خروجها ينقض الوضوء ؟

ج : هذه ديدان صغيرة بحجم الدبوس وليست اسكارس التى هى بحجم قلم الرصاص وأكثر ما تصيب الأطفال وتعدى كل أفراد الأسرة وقد تسبب حساسية حول الشرج وبعض الأعراض المعوية والعصبية ، ويلزم فحص وعلاج كل أفراد الأسرة لأن العدوى

سهلة باللمس ويجب غسل الأيدى بالصابون قبل الطعام وبعد التبرز وكذلك يجب قص الأظافر وعدم حك الشرج ومراعاة النظافة التامة حول الشرج وأخيراً يلزم إعطاء بعض الأدوية بمعرفة الطبيب، وهى لا تنقض الوضوء إلا إذا علق بها شيء ينقض خروجه الوضوء

* * *

س ٥ : طفل حديث الولادة على صدره وذراعه بقع حمراء كبيرة لم تزل بعد شهور من ولادته .

ج : هذه ما يسمى (وحمة) وهى عبارة عن اتساع خلقى بشعيرات الدم وهذه قد لا تزول إلا بالجراحة وهى ليست مرضاً ولا ضرر منها .

* * *

س ٦ : جفاف تام وصعوبة حركة العين وقت المذاكره ليلا .

ج ٦ : قد يكون ذلك نتيجة إجهاد أو رمد بالجفون أو ضعف بالبصر وعلاجه الراحة أو المس أو النظارة حسبما يرى الطبيب .

* * *

س ٧ : عدم مرونة فى الظهر مع الشهيق وآلام متنقلة فى الصدر قد تكون نتيجة رطوبة قديمة (كما يقول السائل) .

ج ٨ . نرجح أن تكون الحالة نتيجة قلة الحركة والنشاط ونرى أن يعالج بالرياضة والتدفئة . .

* * *

س ٨ : دوخة ورعشة ثم تقلص العضلات وغيبوبة وجحوظ العينين وشخير وسرعة وشدة دقات القلب مدة ثلاث إلى خمس دقائق ثم يفيق المريض متعباً يشكو الصداع مدة ١٥ دقيقة ، وتتكرر مراراً كل أسبوع وخاصة ليلا وفى الطقس البارد .

ج : هذه نوبات عصبية هستيرية وعلاجها الراحة والسرور وحل الأزمات النفسية وهذه قد تغنى عن استعمال الأدوية، وقد يحتاج المريض لبعض الأدوية المهدئة بمعرفة الطبيب .

مع العارفين

الإمام الممتحن : أحمد بن حنبل

بين فتنة الجاه وفتنة المال

(٢)

... لقد التفت الإمام إلى الملابس الفاخرة التى أهديت إليه ، وقال لابنه صالح : « وجه بهذه الثياب إلى بغداد ، فبعها وتصدق بثمنها ، وحذار أن يشترى أحد منكم شيئاً منها » .

أما الفرش الوثيرة الطرية ، فقد نحى نفسه عنها ، وألقى بنفسه على مضرَّبة خشنة له ... ونظر إلى حجرة فى جانب الدار ، فأمر أن يحول إلى ركن منها ، وأن لا يسرج له فيها سراج قط .

وأما المائدة فقد عافها ، فلم يدخل بطنه شىء منها ... وكانت شهية حافلة ، حتى إن صاحب الدار التى كانوا ينزلون بها — لما رأى إعراض أحمد عنها — ساوم صالحاً بثلاثة آلاف يدفعها له مكانها كل شهر فأبى . . وناهيك بمائدة تتكلف كل شهر ثلاثة آلاف أو أكثر فى تلك العصور الخاليات ! !

بلغ الضجر بالإمام كل مبلغ ، وبرم بكل شىء ، وزهد فى كل شىء . . . ولم يعد أبغض إليه من أن يلقى رجال الخليفة ، حتى كان يدعهم مع بنيه فى الدهليز ويقبل على صلاته وقراءته ماشاء الله . . .

وكان المرض ينزل به فيراه عافية سابغة لما فيه من عافية احتجابه عنهم ! . . . اشتكت عينه مرة ، فلما برئت ضاق ببرئها ، وقال لولده صالح : « ألا تعجب ؟ ! . كانت عينى تشتكى فتمكث حيناً حتى تبرأ ، ثم هى فى هذه المرة تبرأ فى سرعة ! » .

أقبل الإمام على الصلاة لا يفتر . . وعلى القرآن يختمه كل جمعة . . . وعلى الصيام يواصله فى الصيف القائظ ، فلا يفطر إلا كل ثلاثة أيام . . . أو كل يومين ؛ فإذا أفطر أفطر على تمر وسويق أو على رغيف ! وكانت المائدة توضع فى الدهليز حتى لا يراها ! . . . فساءت صحته وذهبت قوته وضعف بدنه . . . وكان يأخذه العطش ، ويجهده الحر ، فتبل له خرقة بالماء ، فيضعها على صدره الذى يعلو ويهبط بما يتردد فيه من أنفاس خافتة . .

وكان الطبيب ابن ماسويه يعوده كل يوم من قبل الخليفة لينظر ما به من علة ، فيقول له : « يا أبا عبد الله ، أنا أميل اليك وإلى أصحابك . . . ووالله ما بك من علة إلا الضعف ، وقلة الطعام والبِرّ » .

ولكن أحمد يمضي في صيامه وقلة الطعام والبر ، لا يلوى على كلام ابن ماسويه... ويأتيه أن الخليفة أمر أن يشترى له دار بسر من رأى ليقيم فيها حياته محدثاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعظم به المحنة وتزداد الأزمة انقباضاً وحدة ، ويدعو صالحاً ابنه ويقول له : « لئن أقررت لهم بشراء الدار لتكونن القطيعة بيني وبينكم !.. إنما يريدون أن أحدث فيكون هذا البلد حبسي ! . وما حبسي إلا جوار هؤلاء !.. والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذى كان أيام المعتصم ؛ وإني لأتمنى الموت في هذا !! إن هذا فتنة الدنيا ؛ وكان ذاك فتنة الدين » قال صالح : ثم جعل يضم أصابع يده ، ويقول : « لو كانت نفسي في يدي لأرسلتها » . . ثم يفتح أصابعه !! .

* * *

وكانت رسل الخليفة لا تنقطع عن أحمد يرسلهم إليه كل يوم، براً به، وتلطفاً إليه..

فهذا محمد بن معاوية يقول له : أمير المؤمنين يكثر ذكرك ويقول : تقيم ها هنا تحدث . . . فيجزع أحمد لأمر لا يد له بمخالفته ، ولا طاقة له بقبوله ؛ فيلوذ إلى الاحتجاج بالمرض : « أنا ضعيف » .. ويضع إصبعه على بعض أسنانه ويقول : « إن بعض أسناني تتحرك ، وما أخبرت بذلك ولدي »

ويأتيه رسول آخر يعرض عليه أن يزور الخليفة ، ويومىء إلى ذلك من طرف خفي بقوله : « أمير المؤمنين مشتاق إليك » . . فيسكت . . !

وتتوالى الرسل تقول : « يا أبا عبد الله ، لا بد له من أن يراك » فيسكت ولا يجيب .. فإذا انصرفوا قال لابنه صالح : « ألا تعجب من قولهم لا بد له من أن يراك !؟ » .

ولكن الخليفة يلح في المقابلة ! ويتلطف فلا يعرض على أحمد ميعاداً بعينه ، بل يترك له تحديد الوقت الذى يلائمه ، فيجيء يعقوب ويقول :

« يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين مشتاق إليك ، ويقول لك : انظر اليوم الذى تصير إلى فيه ، أي يوم هو حتى أعرفه ؟ »

ويرى أحمد نفسه أمام أمر من الخليفة لا بد له من إجابته أداء لحق السمع والطاعة ويتأدب بإزاء أدب الخليفة معه فلا يقبل أن يحدد موعد المقابلة ، ويتركه لمن يهمهم الأمر ؛ فيقول للرسول : « ذلك إليكم » .

فيقول الرسول : يوم الأربعاء خال . . .

لم يكن شيء فى تلك الفترة أبغض إلى نفس أحمد من هذا اللقاء !

إنه الملك يحنى هامته له ، وقد أقبل عليه يخطب وده ، حاسراً التاج عن مفرقه ، متجرداً من كل شارات الجلالة أجلالا لمكانه . . . فماذا يبتغى أحمد ، وهى منزلة لا يحلم بها حالم من طلاب مجد الدنيا ؟ . .

إن أحمد لا يبتغى شيئاً من ذلك ، ولا ينشد إلا المعافاة منه . . . إنه لا ينظر إلى ما هو فيه إلا على أنه محنة . . ولا ينظر إلى المتوكل إلا على أنه معتصم من طراز آخر . وما المال والجاه والقرب ، إلا سياط هذا المعتصم الجديد . . سياط لا تلهب الأعصاب ولا تحرق البدن ، ولكن تلهب حساً قدسيا فى وجدانه . يجد لسعه الفزع دون أن يدرى له كيفاً أو يستطيع عنه إبانة ! . . ولقد عانى أحمد من بلاء هذه المحنة ، أو من بلاء هذه العافية إلى الآن فوق ما يطيق . . . وجاء هذا اللقاء ، لقاء يوم الأربعاء الموعود بما لم يجىء مثله من قبل . فهو لا يتمنى على الله إلا أن يعافيه من أزمته . . . فهل يجيبه سبحانه إلى ما يتمنى ، وهو جل شأنه الذى يقول فى الصادقين من عباده : « لهم ما يشاءون عند ربهم » ؟ .

يالله ! ما أجل كرامة أولياء الله عليه ! . . وما ألطف معافاته لهم مما يكرهون ! . . وما أجمل ما يصنع لهم فى الخفاء ليكشف كروبهم وهم لا يحتسبون ! .

ماذا كان يوم الأربعاء على قلب أحمد ؟ ! .

وماذا كانت شمس ذلك اليوم فى مرآى بصره وهى تطلع ؟ .

وأى كرب ذلك الذى كان يجثم على صدره وهو ينتظر قدوم رسول الخليفة ليصحبه إلى المقابلة ؟ ! . . .

وماذا كان من حاله ، حين هبط عليه الرسول المرتقب فجأة لا ليصحبه إلى الموعد ، بل ليقول له : « البشرى يا أبا عبد الله ! » أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول : قد أعفيتك من الركوب إلى . . وإلى ابنى المعتز . . وإلى ولاة العهود . . . وأعفيتك من لبس السواد . . فإن شئت فالبس القطن ، وإن شئت فالبس الصوف » ! .

لقد هبط الفرج المفاجىء عليه هبوط النور فى العين المظلمة . . . واهتزت السريرة المكظومة المحترقة تتنفس الصعداء وتنشق تلك البرود العذبة التى أقبلت عليها بنفحات قدس الله . . وانطلق اللسان الشاكر الذاكر يسجل لله نعمته . . الحمد لله . . الحمد لله . .

« يتبع »

مد الإسلام وجزره

للشاعر الأوردى الأستاذ ألطاف حسين حالى

ترجمها إلى العربية بشيء من التصرف القاضى محمد محمود الزبيرى

[الطاف حسين حالى من أئمة شعراء مسلمى شبه القارة الهندية وهذه المنظومة التى وضعها لاستنهاض عزائم المسلمين هى أعظم مؤلفات الشاعر كما أنها من أعظم ما أنتجته آداب الهند الإسلامية على الإطلاق . وضعها الشاعر حالى عام ١٨٧٩ باقتراح من السيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكرة ، وقد كان لهذه المنظومة أثر بعيد المدى فى إيقاد روح الوعى الإسلامى فى شبه القارة حتى لقد قال الزعيم السيد أحمد خان :

(لو سألنى الله عن أفضل أعمالى لقلت : هو اقتراحى على الشاعر حالى تأليف منظومة « مد الإسلام وجزره » وليس شيء غير ذلك) .

وقد ترجمت هذه المنظومة إلى لغات عديدة ولما كانت اللغة العربية أدنى قرابة إلى هذه اللغة وأحق بتراثها الأدبى وكنوزها الإسلامية فإنا نرى أن ترجمة هذه المنظومة الأوردية إليها كان يجب أن يسبق جميع التراجم الأخرى . ومع ذلك فإنا وقد جئنا إلى ترجمتها متأخرين نرى أن العالم العربى لا يزال فى حاجة إلى مثل هذه الهزة الروحية التى توقظ فى أعماقه أمجاد العافيه] ..

أتى سائلٌ بقراطَ يحذر خطبه ... ويسأله فتوى تعالج كربه
ألا أى داء فى البرية مهلك ... إذا مسَّ إنساناً قضى منه نحبه ؟
فقال له : لم يخلق الله مرةً ... لنا مرضاً إلا ويخلق طبَّه
ولكن داء هيناً لا نخافه ... هو الداء يستشرى ويقتل ربه
وأخطر أمراض علينا مغبــةً ... هو المرض السهل الذى لن نطبه
نرى أمره هوناً ونترك شره ... بأقطارنا ينمو ويجمع إلبــه
ونعتقــد أقوال الطبيب بشأنه ... خرافة شيخ أصبح الهجر دأبه

* * *

إذا هو فى التشخيص أعلن رأيه ... زعمناه بالتشخيص يعلن عيبه
وقمنا عليه هازئين نذيقه الهــوان ونسقيه من الصاب ريَّه
ونسلقه سلقاً بألســنة لنا ... حداد تعرّيه وتنسج خزيه

كأن به مسّ الجنون كأننا حواليه أطفال نحاول كيه
نحاذر أسباب الشفاء وإن يكن نطاسيه الآسي لنا أو نبيه

* * *

كذاك يمد الداء فى الروح مده ويبلغ بالتدريج فينا أشده
وينزع منا الأنس بالطب والدوا إلى أن نذوق اليأس والموت بعده
ونكره أن نلقى الطبيب بدائنا ولو كان سر الحى والميت عنده
كذلك حال الشعب يوم تغوله الـغوائل فى الدنيا ويفقد رشده
وتبدو لعينيه الشموس غياهبا ويصبح هذا العالم الرحب لحده
ويجثم فيه الرعب حتى يؤده ويطغى عليه اليأس حتى يهده
ويحسبه من عجزه وضلاله يعيش بهذا الكون حيران وحده
يؤله من يقوى عليه ويعتدى فلو عضه كلب له صار عبده

* * *

أحاطت به دوامة فغرت له فماً مثل شدق الوحش يبدأ أكله
على مركب ترغى المنايا حياله بأمواجها الغضبى وتزأر حوله
تُجرعه من هولها الجرعَ التى تؤد جناحيه وتبهض حمله
لقد ساء خطى الفلك فالموج هائج على رأسه والموت ينشر ظله
وأنى له شط النجاة وإنما يرى قبره الخالى ويرقب ذحله
ترنح من ذعر وضجت بأهله جوانبه الغرقى لتوقظ أهله

* * *

ولكنهم ركب نؤوم تهزه الـمنايا فلا يجدى لها أن تهزه
سحاب الردى من فوقه متلبد على رأسه والشؤم يبعث رمزه
أحاط به الإدبار من كل جانب وهمت به أشراطه أن تؤزّه
وأقبل صوت الحق يسأله فما يجيب ويستفتى ويغمز غمزه
وهل أنتمُ من كنتم الأمس فى الورى وهل أنتم من ضيع اليوم عزه ؟
أأيقظتم الدنيا قديماً ونمتم حديثاً كمن يغفو ليستر عجزه ؟
لقد كنتم للكون كنزاً من المنى فلما أضعتم ضيع الكون كنزه

« يتبع »

السودان المسلم

للأستاذ محمد الخير عبد القادر

(٣)

اقتصاديات السودان :

تقرب مساحة السودان من المليون ميل مربع ، يسكنها مايتراوح بين السبعة والتسعة ملايين نسمة من السكان ، ويبلغ عدد سكان السودان الشمالى ثلاثة أرباع هذا العدد مقابل ربع واحد للسودان الجنوبى . وتعتمد الحياة الاقتصادية فى السودان أساساً على الثروة النباتية ، وهى إما نباتات برية أو مزروعة . فالنباتات البرية تمثلها أشجار الدوم التى تنمو فى شرق السودان وبعض جهات النيل الأزرق . على أن أهم نبات برى هو الصمغ العربى الذى يستخرج من أشجار الطلح والهشاب فى مديرية كردفان التى تعتبر عاصمتها الأبيض أكبر سوق للصمغ العربى فى العالم أجمع . ويأتى الصمغ بعد القطن مباشرة فى قائمة صادرات السودان . أما المورد البرى الثالث فهو الأخشاب التى تكثر فى السودان الجنوبى مثل شجر التيك والماهوجنى ولكنها لم تستغل بعد استغلالا مرضياً .

أما النباتات المزروعة فأولها الغلة التجارية الرئيسية وهى القطن الذى يعتبر أساس الاقتصاد القومى فى السودان كما هو الحال فى مصر ويتركز معظم إنتاجه فى أراضى الجزيرة المنبسطة حيث تبلغ مساحة الأرض المزروعة قطنا ٢٠٦ ألف فدان كما يزرع فى مديرية كسلا شرقا وفى منطقة الزاندى فى جنوب السودان . والواقع أن أهمية السودان الاقتصادية تنحصر فى المنطقة الوسطى الواقعة بين خطى الطول ٣٦ شرقا و ٢٤ غربا وبين خطى العرض ١٦ شمالا و ١٠ جنوبا . هذه المنطقة تشمل ما يزيد على الثلثمائة مليون فدان صالحة للزراعة لا يستثمر منها سوى ٢,٢٦٦,١٤٧ فدانا بالزراعة المطرية و ٤٤٢,٢٢١ بالرى الصناعى و ١٩٣,٦٨٧ بالفيضان حسب إحصائية عام ١٩٣٩ ويمثل القطن ٦٦ ٪ من جملة صادرات السودان ، وتستأثر انجلترا وحدها بنحو ٦٠ ٪ من انتاج القطن السودانى ، ولا غرو فإن القطن كغلة تجارية مربحة كان من العوامل الهامة فى تشبث الامبراطورية البريطانية بالسودان و « مشروع الجزيرة » خير مثال للأهمية الاقتصادية الكبرى التى تعلقها « دولة الحكم الثنائى » على زراعة القطن فى السودان فعملت هذه الدولة على إبراز « مشروع الجزيرة » تحت إشراف « شركة نقابات الزراعات السودانية » وهى أقدم الشركات الإنجليزية وأكبرها فى السودان ، فقد منحت هذه الشركة امتياز زراعة القطن واحتكاره بمقتضى عقد بينها وبين حكومة السودان الإنجليزية ابتداء من عام ١٩٢٥ فأصبحت الشركة المنتج الأول للقطن فى السودان تحتكر أخصب أراضى السودان الزراعية وأصلحها للرى وهى أرض الجزيرة الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق ، وقد تكفلت حكومة السودان بمساعدة الشركة فى إنجاز هذا المشروع الضخم فاقترضت أموالا طائلة من الرأسماليين الإنجليز لتدعيم رأس مال الشركة حتى بلغ مجموع هذه القروض ثلاثة عشر مليونا من الجنيهات المصرية عام ١٩٢٤ وقامت الحكومة ببناء خزان سنار الذى تم بناؤه سنة ١٩٢٥ وذلك لتسهيل رى الأراضى الزراعية لحساب الشركة ، وقد بلغت هذه الأراضى نحو مليون فدان فى الجزيرة . أما فى حوض نهر القاش

فإن الشركة تمتلك أكثر من نصف أسهم شركة كسلا الزراعية التى تشرف على زراعة القطن فى ذلك الحوض ، ويحتل قطن القاش المرتبة الثانية فى العالم من حيث جودة الصنف . وهكذا نرى أن مشروع الجزيرة ليس إلا مظهراً من مظاهر استغلال رأس المال البريطانى فى السودان واحتكار القطن السودانى لحساب مصانع القطن فى لانكشير حتى أصبحت بريطانيا هى التى تتحكم فعلا فى أسعار القطن السودانى ، فترفعها أو تخفضها كيفما شاءت ولن تكون الضحية الأولى لذبذبة أسعار القطن سوى الفلاح السودانى . ولايقلل من شأن هذه الحقيقة أن الأرباح تقتسم بين الحكومة والشركة والفلاح بنسبة ٤٠٪ و ٢٠٪ و ٤٠٪ على التوالى لأن الفلاح مطالب بدفع ثمن الماء والبذور والإرشاد الفنى من نصيبه فى المقاسمة وهو الـ ٤٠٪ وهذا ماينزل بإيراده الحقيقى إلى النصف . ومن نتائج هذا المشروع أن أسواق السودان أصبحت احتكارا المنسوجات البريطانية التى تحميها حكومة السودان بفرض رسوم جمركية باهظة على المنسوجات غير البريطانية . كذلك نجم عن هذا المشروع أن ثروة السودان الاقتصادية تركزت فى محصول واحد وهوالقطن على الرغم مما فى ذلك من خطورة على مستقبل البلاد الاقتصادى لأن المحصول الواحد مهما كانت قيمته الاقتصادية فهو عرضة للآفات غير المتوقعة وعرضة لتقلبات الظروف العالمية . وقد انتهى امتياز شركة نقابات الزراعات السودانية عام ١٩٥٠ ، وانتقل المشروع إلى يد حكومة السودان الإنجليزية .

وهناك غلات غذائية أهمها الذرة الرفيعة التى تمثل الغذاء الرئيسى لمعظم السكان . والدخن الذى يزرع فى مديرية كردفان ومديرية كسلا والسمسم ويعتبر ثالث صادرات السودان أهمية ويستهلك نصف إنتاجه محلياً ، وهناك الفول السودانى والذرة الشامية واللوبيا . أما القمح فهو غلة شتوية كما هو الحال فى مصر ويزرع فى أراضى الرى فى المديرية الشمالية من السودان الشمالى حيث تبلغ مساحته نحو ٢٠ ألف فدان وهذا القدر لا يكفى للاستهلاك المحلى ، ولذلك يستورد القمح من خارج السودان .

ومن الأسس الاقتصادية الأخرى غير الثروة النباتية الثروة الحيوانية . فتكثر الماشية والإبل والأغنام فى السودان ، وتدر تجارة الإبل على الكبابيش مئات الآلاف من الجنيهات ، ويصدر لمصر منها ماقيمته مليون جنيه سنويا ، وتباع من الماشية حوالى ٤٠ ألف رأس فى العام كما تصدر الأغنام بكثرة ويرجى لهذه التجارة أن تنمو وتتسع إذا وجدت لها الضمانات الكافية ، فالأمطار التى تعتمد عليها هذه الحيوانات تتذبذب من وقت لآخر مما يسبب هلاك الكثير من قطعانها .

أما الأساس الاقتصادى الثالث فى السودان فهو الثروة المعدنية ، وإن كنا لا نستطيع بحق أن نعتبرها أساساً اقتصادياً لأن أراضى السودان لم تبحث بحثاً جيولوجيا مرضياً فى جميع أجزاء البلاد ، ولو أنه ليست ثمة دلائل فى الوقت الحالى تبشر بخير كثير فليست هناك حقول للفحم أو البترول . وفى السودان الجنوبى يوجد قدر من الحديد ، ولكنه من مرتبة عادية لاتبرر استغلاله استغلالا اقتصاديا مربحا ، ويستغل الذهب على نطاق ضيق فى شرق السودان وفى السودان الجنوبى أيضاً .

ولا يخلو السودان من الصناعات المحلية مثل صناعة الصابون وصناعة الزجاج التى تتركز فى المدن وصناعة الزراير فى عطبرة وصناعات أخرى صغيرة كالدباغة وصناعة الأوانى الفخارية .

أما ثروة السودان الجنوبى فتتمثل أساساً فى أخشاب التيك والماهوجنى وأشجار الفاكهة المدارية مثل الموز والمانجو والباباى والأناناس . وقد توحى هذه الغلات المدارية بإمكان قيام تجارة ناجحة فيها ، ولكن يحول دون ذلك رداءة المواصلات وبعد المنطقة عن البحر الذى يقلل من

نفقات التصدير فيتيسر الاتجار فى هذه الغلات كما هو الحال فى ساحل الذهب مثلا . ولا يتسنى تصدير هذه المواد بالسكك الحديدية لوعورة المنطقة وارتفاع تكاليف التصدير . على أن الميدان الحقيقى لتجارة الفاكهة هو المديرية الشمالية فى السودان الشمالى ، فهناك حدائق كثيرة فى شندى ونورى ومروى غنية بالموالح وأشجار النخيل التى تعتبر مقياس الثروة فى تلك المناطق . ويرجى لهذه التجارة رواجا عظيما إذا علمنا أن السودان يستورد من الفاكهة ماقيمته ثلثمائة ألف جنيه من مصر سنويا .

من هذا العرض السريع نرى أن السودان قطر زراعى ويمكن من الناحية المناخية زراعة غلات كثيرة متنوعة مدارية وشبه مدارية ومعتدلة ، غير أن هناك عقبات تحول دون استثمار هذه الأراضى الخصبة استثماراً مرضياً ، وأهم هذه العقبات رداءة المواصلات وقلة الأيدى العاملة المدربة ونقص رؤوس الأموال وقلة أعمال الرى المنظمة .

قومية وإسلام :

فكرة القومية أو الوطنية بالمعنى الذى تمخضت عنه الثورة الفرنسية وتكيفت به أوضاع أوربا السياسية فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين فكرة غريبة عن العالم الإسلامى لأنها ليست من طبيعة الإسلام . بل إن الإسلام هو البوتقة التى تذوب فيها الحدود الجغرافية والاختلافات العنصرية والفوارق اللغوية والنزعة الأنانية وتلك هى مقومات القومية كما عرفتها أوربا الحديثة ؟ ففكرة القومية إذن بهذا المعنى لم يعرفها السودان إلا فى ظل الحكم الثنائى وتحت تأثير الثقافة الأوربية بدليل أن الأحزاب السياسية التى تمثل الفكرة القومية لم تظهر فى السودان بصورة ملموسة إلا بعد نشوب الحرب العالمية الثانية التى اصطلى السودان بنارها وساهم فيها مساهمة فعالة استندت عليها الأحزاب السياسية فى مطالبتها بالحرية والاستقلال . وحتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها ونشطت الأحزاب السياسية فى الدعاية لقضية الوحدة والاستقلال لم تستطع الأحزاب أن تتجاوب تجاوباً صادقاً مع الغالبية العظمى من سكان السودان إلابقدر ولاء تلك الأحزاب لهذا الزعيم الدينى أوذاك . أما قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى فإن حكومة السودان الإنجليزية كانت ترقب فى قلق واضطراب متزايدين شعور السودانيين نحو تركيا (مقر الخلافة الإسلامية آنذاك) بعد أن اتضح أن تركيا ستخوض الحرب ضد بريطانيا . ومصدر القلق هو خشية الحكومة الإنجليزية من أن ينحاز شعور الشعب السودانى المسلم — على الأقل — إلى جانب تركيا ضد بريطانيا وحلفائها . بل إن القلق استبد بحاكم السودان العام فى ذلك الوقت « سير ونجت » حتى دفعه إلى الطواف بأقاليم السودان ومدنه ليدعو إلى مناصرة بريطانيا فى الحرب وليؤلب الرأى السودانى العام ضد تركيا مستنداً إلى مساوىء الحكم المصرى فى السودان قبيل الثورة المهدية حينما كانت مصر تحكم السودان وهى ما زالت فى ظل التبعية لتركيا . وهكذا نرى أن الشعب السودانى كان ومازال مؤمناً « بإسلاميته » ولا أقول « بقوميته » كما شهدت بذلك الأمثلة السابقة ، وأنه من الخير لمن يتصدى لقيادة هذا الشعب المؤمن أن يتحسس فيه مكمن القوة والحيوية قبل أن يمسك بزمامه ، وأن يستقرىء تاريخه قبل أن يحدد له مستقبله .

وليس معنى ذلك أننا ننكر الدور الذى لعبته الحركة القومية فى نشر الوعى السياسى فى السودان وخاصة بين الطبقات المستنيرة فإن ذلك حق لاينكر ، ولكنا نقول إنه دور ثانوى إذا ماقيس بالرسالة التى كان يمكن أن تؤديها هذه الحركة لو أنها كانت حركة بعث إسلامى ولم تكن حركة

بعث قومى ضيق الأفق . لقد كان « مؤتمر الخريجين العام » طليعة الحركة القومية فى السودان ، وكان بحق أول هيئة وطنية منظمة تأسست عام سنة ١٩٣٦ استجابة لرغبة نخبة كريمة من طبقات الخريجين والمثقفين ثم اتسع نطاق عضويته فشمل كل من هو فوق مستوى التعليم الأولى ، وانتشرت لجانه فى الأقاليم تجمع الأموال وتؤسس المدارس الأولية والمتوسطة ، واستطاع المؤتمر فى مدى بضع سنوات أن يؤسس من المدارس الوسطى مايربو على المدارس التى أنشأتها حكومة السودان فى مدى نصف قرن من الزمان . وكان هذا النشاط الثقافى مدعاة لإقبال الجماهير على المؤتمر وتشجيعها لمشروعاته تشجيعاً أدبياً ومادياً ، وما أن جاء عام ١٩٤٢ حتى وجد المؤتمر نفسه فى مركز يسمح له بالتحدث باسم الطبقة المستنيرة فى السودان ، فبعث بأول مذكرة سياسية إلى حاكم السودان العام يطالب فيها بإطلاق الحريات العامة وحق الشعب السودانى فى تقرير مصيره ، ولكن الحكومة ردت هذه المذكرة بحجة أن المؤتمر لايمثل الشعب السودانى ، ولم يعبأ المؤتمر بموقف الحكومة منه فأردف مذكرته الأولى بمذكرة ثانية عام ١٩٤٥ يطالب فيها بحق السودانيين فى إقامة حكومة ديمقراطية حرة فى اتحاد مع مصر ، فكان مصير هذه المذكرة الإهمال أيضاً ، ولم يأبه المؤتمر لموقف الحكومة لأن مكانته ارتفعت فى أعين المواطنين فأصبح المؤتمر رمزاً للحركة الوطنية وتكتلت تحت لوائه جميع الأحزاب التى برزت إلى حيز الوجود وهى حزب الاتحاديين الذى ينادى بالاتحاد الكامل مع مصر دون أن يكون للسودان حقوق منفصلة وحزب الأحرار الاتحاديين الذى يدعو إلى استقلال السودان فى ظل التاج المصرى « وحزب الوحدة » الذى عرف بحزب الأشقاء ويدعو إلى إقامة برلمان واحد لمصر والسودان على أن تكون للسودان حكومة داخلية تستظل بالتاج المصرى . وهناك حزب القوميين الذى يتمسك باستقلال السودان التام وعقد معاهدة مع مصر مع الاحتفاظ بالسيادة للسودانيين . ويلاحظ أن هذه الأحزاب جميعها لا تختلف إلا فى تحديد نوع الاتحاد مع مصر .

والواقع أن المؤتمر كان بمثابة برلمان تتنافس هذه الأحزاب على الفوز بمقاعده عن طريق الانتخابات التى تجرى سنويا والحزب الذى يفوز بأغلبية الأصوات هو الذى يدير سياسة المؤتمر على أن الخلاف مالبث أن دب فى صفوف هذه الأحزاب عندما قرر حزب الأشقاء — صاحب الأغلبية فى المؤتمر — وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى فقاطع القوميون المؤتمر وتألف حزب الأمة تحت رعاية السيد عبد الرحمن المهدى وتصدر حزب الأمة وحزب القوميين الدعوة لانفصال السودان التام عن مصر وعدم التقيد بالتاج المصرى مع الاحتفاظ بعلاقات ودية مع كل من مصر وبريطانيا واتسعت شقة الخلاف بين الأحزاب الداعية للوحدة والأحزاب الداعية للانفصال ، وازداد الخلاف استحكاما عندما وقفت الحكومات المصرية فى العهد البائد إلى جانب أحزاب الوحدة متجاهلة وجهة نظر الاستقلاليين كما كانوا يسمون ، ومن العوامل التى ساعدت الدعوة إلى الانفصال تلك الحالة المزرية من الفساد التى تردت فيها مصر بحكامها وساستها وزعمائها . ثم مالبث الخلاف أن دب فى صفوف أكبر الأحزاب الداعية إلى الوحدة وهو حزب الأشقاء فانقسم على نفسه وكاد الجمع بين جناحيه المنقسمين يتعذر لولا أن حكومة العهد الجديد فى مصر استطاعت أن ترأب الصدع وتعيد إلى الأحزاب الاتحادية وحدتها فتألف « الحزب الوطنى الاتحادى » فى نوفمبر سنة ١٩٥٢ بفضل الجهود الذى بذلتها الحكومة المصرية وانضوت جميع الأحزاب الداعية إلى الوحدة تحت هذا الحزب الواحد . كما عقدت الحكومة المصرية اتفاقية مع الأحزاب الاستقلالية اعترفت فيها الحكومة المصرية للسودانيين بحقهم فى تقرير مصير بلادهم فالتقت بذلك الأحزاب الاتحادية والأحزاب الانفصالية على هدف كبير هو الجلاء وحق تقرير المصير . ومما هو جدير بالذكر أن الأحزاب الاتحادية قاطعت

جميع المؤسسات الدستورية الزائفة التى أنشأتها حكومة السودان كالمجلس الاستشارى لشمال السودان والجمعية التشريعية المنحلة ودستور الحاكم العام الجديد ولم تلتق الأحزاب الاتحادية والأحزاب الانفصالية إلا على المذكرة التى رفعتها الحكومة المصرية إلى الحكومة البريطانية وتتضمن الاعتراف بحق السودانيين فى تقرير مصيرهم وتعديل بعض مواد دستور الحاكم العام وتحديد فترة انتقال تسودن خلالها الإدارة الإنجليزية فى السودان ، وقد حددت هذه الفترة بثلاث سنين يتم بعدها تقرير المصير كما تضمنت المذكرة تكوين لجنة دولية تحد من سلطات الحاكم العام فى فترة الانتقال . أما ما يسمى بالحزب الجمهورى الاشتراكى فقد تكون منذ عام تقريباً فى ظروف غامضة وأغلبية أتباعه من زعماء العشائر ورجال الإدارة وكبار الموظفين فى حكومة السودان . وبالإضافة إلى هذه الأحزاب هناك « الحزب الجمهورى » الذى يدعو إلى الاشتراكية الإسلامية . ويؤخذ على الأحزاب السودانية جميعاً أنها على الرغم من اتفاقها على الهدف وهو الجلاء وتقرير المصير فإن وسائلها لتحقيق هذه الغاية ليست واضحة فهى جميعاً تفتقر إلى مناهج مفصلة واضحة تحدد مراحل كفاحها والأسلوب الملائم لكل مرحلة كما تفتقر إلى الروح المعنوى الذى يخلق من الأفراد شعلا متحركة .

ويعتبر اتحاد نقابات العمال أدق الهيئات السودانية تنظيما وهو ليس حزبا سياسياً وإنما هو هيئة برزت إلى الوجود كنتيجة طبيعية للحيف الذى تنزله حكومة السودان بالعمال وخاصة عمال السكك الحديدية من غمط لحقوقهم وإهدار لمصالحهم فتكون هذا الاتحاد للدفاع عن حقوق العمال وصيانة مصالحهم والعمل على رفع مستواهم المعيشى . فأغراض الاتحاد أغراض اقتصادية خالصة ونجاح الاتحاد فى أداء رسالته يتوقف على ابتعاده عن جو السياسة لأن هذا الاتحاد يضم أكثر من مائة وعشرين ألف عامل لهم ميولهم السياسية وطوائفهم الدينية التى يدينون لها بالولاء . وإن أية محاولة للزج باتحاد العمال فى معترك السياسة ككتلة عمالية لها رأيها السياسى ، أية محاولة كهذه معناها تمزيق وحدة العمال وتحطيم اتحادهم لأن العمال ليسوا إلا جزءاً من الشعب السودانى الذى تتقاسمه الأحزاب السياسية ومن فوق الأحزاب السياسية الطوائف الدينية التى سبقت الإشارة إليها .

(يتبع)

« إذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر ، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق ، وإذا ساء خلق المرء أبغضه الخلق وأبغضهم ، وجفاهم ، وهناك يصير شيطانا » .

« أبو بكر الوراق »

فى أفق العالم الإسلامى

فى الباكستان :

تطورت الحوادث فى باكستان خلال الشهر الماضى تطوراً أثار قلق المسلمين فى العالم كله . وكتب إلينا كثيرون من كل مكان يسألوننا عن حقيقة مايدور داخل باكستان ، وعن حالة الحركة الإسلامية فيها ، وعن مفهوم النزاع القائم والتغير الوزارى الأخير . وقد جاءتنا رسائل من باكستان نمسك عن نشرها الآن حتى نستبين وجه الحق فى تفسيرها لكل ماحدث . ونناشد حكومة باكستان الجديدة أن تقدر آمال الناس فيها حق قدرها ، والأمانة الثقيلة فى عنقها ، وأن تذكر دائماً أن أصدقاءها الكثيرين فى العالم الإسلامى إنما يربطهم بها « رابطة الإسلام » وأن دعاة الإسلام والغيورين عليه فى كل قطر يرقبون كل جديد فيها ويتابعونه بكل مشاعرهم وحواسهم ، وهى مسئولة أن ترعى هذه المشاعر وتحرص عليها ، ولن يكون ذلك إلا برعاية أمانة الإسلام الذى أنشأ باكستان وجمع قلوب أهلها وضحوا فى سبيله ماضحوا ، والذى لفت قلوب المسلمين فى العالم إليها فجعلهم يضرعون إلى الله أن يؤيدها ويأخذ بيدها لتحقق الأمل الكبير فيها .

الإسراء والمعراج فى بيت المقدس :

حفل بيت المقدس فى يوم الإسراء والمعراج بوفود المسلمين من البلاد الإسلامية ، وغص بشباب الدعوة الإسلامية من سائر بلاد فلسطين وشرق الأردن . وقد سافر الأستاذان محمود عبده قائد متطوعى الإخوان المسلمين وسعيد رمضان مندوبين عن المركز العام للاخوان لإحياء ذكرى الإسراء والمعراج فى موطن الإسراء والمعراج .

وقد أقام الإخوان المسلمون معسكراً كبيراً حضرته فرق جوالة شعب الإخوان فى الضفتين الشرقية والغربية وأقاموا فيه ثلاثة أيام أشاعت فى مدينة القدس جوا من الإيمان الغامر والحماسة الدافقة وروح الاستعداد لليوم الفصل . كما نظم الإخوان حفلا ضم حشداً هائلا تكلم فيه فضيلة الشيخ محمد أسعد الإمام سكرتير الهيئة العلمية الإسلامية فى القدس ، والسيد محمد خليفة المراقب العام للاخوان المسلمين بالأردن ، وفضيلة الشيخ عبد الحميد السائح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية وفضيلة الشيخ محمد محمود الصراف مندوب الوفد العراقى ، والمجاهد محمود عبده قائد متطوعى الإخوان فى حرب فسلطين ، والشيخ عبد الرؤوف أبو طوق عن الوفد السورى ، والشيخ محمد الحسن ممثل العلامة الأستاذ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وكانت خاتمة الحفل كلمة الأستاذ سعيد رمضان .

وقد نزل أعضاء الوفود ضيوفا على الهيئة العلمية الإسلامية بالقدس التى أشرفت على تنظيم برنامج زيارتهم للقدس والخطوط الأمامية ، وأقامت حفلا كبيراً لاستقبالهم فى فناء المدرسة العمرية .

وقد تكون من أعضاء الوفود لجنة انتخب لعضويتها أصحاب السماحة والفضيلة أمجد الزهاوى ، محمد محمود الصواف ، أبو الفرج الخطيب ، محمد حسن الشخصى ، سعيد رمضان ، محمود عبده ، عبد الرؤوف أبو طوق ، محمد الأمين الشنقيطى ، عبد الله عزت ، عبد الحميد السائح ، محمد على الجعبرى . واختير فضيلة الشيخ حلمى المحتسب سكرتيراً للجنة .

وقد عقدت هذه اللجنة جلساتها في بيت المقدس وصدر عنها البيان التالي :

« اجتمعت الوفود الإسلامية في يوم السبت الواقع في السابع والعشرين من رجب سنة ١٣٧٢هـ الموافق للحادي عشر من يناير سنة ١٩٥٣م في مدينة بيت المقدس بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج وبعد المداولة تقرر مايلي :

١ — أن يكون يوم ذكرى الإسراء والمعراج الشريف من كل سنة يوم احتفال عام في القدس يحضره ممثلون لأقطار العالم الإسلامي جميعاً ويتدارسون واجب المسلمين نحو البلاد المقدسة ، وتدعو الوفود المجتمعة هذا العام المسلمين جميعاً لإيفاد من يمثلهم في العام القادم .

٢ — تذكير المسلمين بأن قضية فلسطين هي قضية الإسلام الكبرى ، وإنقاذها فرض على كل مسلم .

٣ — دعوة المسلمين إلى إنقاذ بيت المقدس والمبادرة إلى جمع المال لتحقيق الأمور الآتية :

(أ) إنشاء مدارس لأيتام المسلمين وفقرائهم توفر لهم العلم وتحمي عقائدهم .

(ب) إنقاذ الممتلكات الإسلامية والعمل على بقائها في أيدي المسلمين .

(حـ) إنعاش الحالة الاقتصادية لإخواننا في بيت المقدس بشتى الوسائل .

٤ — مناشدة الحكومات والشعوب الإسلامية المبادرة إلى عمارة المسجد الأقصى المبارك وإصلاح ماخربته قنابل اليهود .

٥ — إن النصر الذي ينشده المسلمون في قضية فلسطين وسائر قضاياهم يتطلب عودة صادقة إلى عقيدة الإسلام وأخلاقه ، فنناشد الحكومات والهيئات العاملة للاسلام أن تهتم بتربية الشباب والناشئة وتثقيفهم ثقافة إسلامية واعية .

وستتخذ الإجراءات العملية لتنفيذ هذه المقررات ، والله ولي التوفيق .

إسلامية الدستور المصري :

تلقى بعض الناس دعوات لحضور اجتماع يستمعون فيه إلى محاضرة عن البهائية ويشهدون فيلما سينمائياً عن نشاطها في (أمريكا) ! .

ولسنا ندري كيف يسمح بمثل هذا النشاط في مصر بعد أن كان لايجرأ بهائي عليه ، ونخشى أن يكون هذا هو مدلول حرية العقائد في الدستور المؤقت . ونذكر رجال الحكم في مصر بأن تغيير الدستور يجب أن يكون إلى « أحسن » وأن إسلامية الدستور القديم أساس يدين به المسلمون في مصر وهم أغلبيتها ، ويؤمنون أنه في ظله — لا على حسابه — يجب أن يقوم التسامح الذي فرضه الإسلام .

إسرائيل تعاني سكرات الموت :

ننشر المقال التالي الذي نشرته مجلة تايم الأمريكية ، ننشره لطرافته غير مصدقين ولا مكذبين :

« جلس أهالي إسرائيل اليهود إلى وليمة عيد الفصح وهو أكبر أعيادهم ليحتفلوا بخلاصهم من الأسر وعودتهم إلى أرض الميعاد قبل ثلاثة آلاف سنة . وقد أصبحت هذه الأرض لهم الآن ولكن ليس لديهم إلا القليل الذي يمكن أن يبهجهم .

فقد أعلنت حكومة ابن غوريون مؤخراً تخفيضاً جديداً لليرة اليهودية في خلال ١٣ شهراً ، فأصبحت الليرة اليهودية التي كانت في الأصل تساوي دولارين وثمانين سنتاً ثم دولاراً و ٤٠ سنتاً في السنة الماضية للسياح ودولاراً للمستثمرين ، أصبحت الآن تساوي دولاراً واحداً في جميع الحالات ، ولكن هذا الرقم لايتفق مع الواقع ، فإن قيمة الليرة اليهودية في بورصة ترورنغ المالية لاتساوي أكثر من ٤٠ سنتاً أميركيا (أقل من ١٦٠ مليما) .

وإسرائيل ، كحلم فى الصحراء ، تقاتل اليوم وتحارب لتعيش وتستمر فى العيش حتى تبدأ المشاريع الطويلة الأجل تؤتى ثمارها . وتقنين الغذاء فى إسرائيل أشد كثيراً من أى تقنين عرفته بريطانيا ، فالشخص لاينال أكثر من ٢ كيلو من اللحم وكيلو من البطاطس ونصف كيلو من السمك المقدد فى الشهر . أما البضائع غير المقننة فأسعارها مرتفعة لدرجة جنونية .

وبدلا من أن تصلح الحال فإن تخفيض العملة اليهودية فى السنة الماضية قد زادها سوءاً فارتفعت الأسعار فى الداخل ولكن التخفيض لم يكن كافياً لكى تباع البضائع الإسرائيلية بأسعار تستطيع أن تنافس معها البضائع الخارجية . وكان من نتيجة ذلك أن الفرق فى الميزان التجارى زاد من نسبة ٧ إلى ١ حتى بلغ ٩ إلى ١ فى سنة ١٩٥٢ .

وقد اضطرت المصانع بعد أن عجزت عن الحصول على العملة الأجنبية إلى أن تخفض إنتاجها بنسبة ٣٠ بالمائة وقد فككت آلات مصنع فيلبس للأدوات الكهربائية فى ناثانيا ونقلت المعدات إلى هولندا ، ولجأت الحكومة بعد ذلك إلى فرض قرض إجبارى مقداره ١٠ بالمائة على النقد ثم فرضته على الأملاك ، وجاءت أول عملية لتخفيض العملة عندما كانت جيوب الشعب مملوءة ومخازنه خالية من البضائع ، أما فى هذه المرة فقد جاءت العملية وجيوب الشعب فارغة بينما المخازن عامرة بالبضائع ولكن لاتجد من يشتريها !

وقد ارتفع عدد العمال العاطلين إلى ٤٠ ألفاً . وإسرائيل الآن لاتستطيع مطلقاً أن تعيش على مواردها الخاصة . والمبالغ الضخمة التى كانت ترد إليها من الخارج بدأت تقل الآن ، فقد تلقت إسرائيل من أمريكا وحدها فى سنة ١٩٥٢ ألف مليون دولار .

إسرائيل تضاعف قواتها :

قال ابن غوريون رئيس وزارة إسرائيل فى إذاعة له : إن أكثر من أربع سنوات قد انتهت على وقف الأعمال الحربية ، ولكن جيراننا مازالوا يرفضون عقد الصلح معنا ، ولهذا يجب علينا أن نواصل ونحسن استعدادنا الحربى ، فنحن لانريد حرباً ولاحالة حرب ، بل كنا ومازلنا نفضل السلام على الحرب . أما إذا أراد جيراننا المحافظة على الحالة الحاضرة وبقائها فإننا نستطيع أن نحتمل هذه الحالة كما يحتملونها هم تماما .

وبعد أن تحدث عن مواصلة التسلح لدى العرب واستمرار زيادة قواتهم اعترف بان إسرائيل ضاعفت قواتها وعتادها الحربى ثلاث مرات ، وهذا غير تقدمها فى الفنون العسكرية ، ولكن أعداء إسرائيل واصلوا هذا العمل أيضا .

ثم ختم بقوله : إن تاريخ إسرائيل يحتم على شبابها أن يقهروا الصحراء ويسيطروا على البحر والمجال الجوى وموارد الثروة الطبيعية فى البلاد .

فى أندونيسيا :

كتبنا فى العدد الماضى فى معرض الحديث عن الجماعات الإسلامية فى أندونيسيا شيئاً عن « دار الإسلام » ونرجو أن يكون مفهوماً أننا لم نقصد بما نشرناه أن نبدى رأياً خاصاً ، وإنما ذكرنا ماتقوله مجلة أمريكية وماتقوله هى عن نفسها ، وفاتنا أن نذكر أن الحكومة الأندونيسية تعتبر دار الإسلام خارجة على القانون ، وتتهمها بحوادث الشغب الكثيرة فى أندونيسيا وتراها خطراً يهدد سلامة البلاد .

أخبار متفرقة

● أقامت السفارة الأفغانية احتفالا كبيراً بمناسبة ذكرى السيد جمال الدين الأفغاني رضى الله عنه ، حضره جمهور كبير من رجالات الأقطار الإسلامية ، وخطب فيه أساتذة كبار ، وبقدر ما أعجبنا جمال الاحتفال آلمنا أن أكثر من تحدثوا فيه حرصوا على البعد عن معانى الإسلام فى شخصية جمال الدين الأفغانى . فكانوا بذلك يتحدثون عن شخص غير جمال الدين ، ويجحدون الفضل فى جهاده ، فإنه رحمه الله لم يعرف غير الإسلام والمسلمين ولم يجاهد لغير ذلك ، وأولى بالذين لايعرفون ذلك فيه ألا يتحدثوا عنه وألا يظلموا ذكراه .. إنهم إن جبنوا عن حمل أمانة الإسلام ومنازلة أعدائه ، فإنه من الخير لهم ألايتعرضوا لأمثال ذكرى جمال الدين ، فهى تفضح جبنهم وتثير ثائرة جند الإسلام عليهم ...

● استخدمت السلطات البريطانية كل ماتقدر عليه من قوة من مصفحات وجواسيس وكلاب بوليسية ومدافع سريعة الطلقات للقضاء على حركة « التمرد على الاستعمار » البريطانى فى كينيا ، وقد اقترح الزعماء السياسيون الأوربيون فى كينيا تنفيذ عقوبة الإعدام فى الوطنيين الذين يلقى القبض عليهم علناً فى الميادين العامة .

● منحت إسرائيل سبع شركات (أمريكية) التصريح بالتنقيب عن البترول فى إسرائيل .

● فى جلسة من جلسات الجمعية الوطنية فى كراتشى انسحب أعضاء الجمعية احتجاجاً على استعمال اللغة الانكليزية أثناء مناقشة ميزانية ولاية بيشاور .

● رفضت حكومة جنوب أفريقيا السماح لقسيس من الأمريكيين (السود) بدخول بلادها !

● قدم أحد الهنود فى بومباى ابنته الصغيرة وعمرها سنتان ونصف ضحية لما يسمونه (الآلهة كالى) لكسب عطفها فضرب رأس ابلته بقاعدة التمثال فتحطم .

● صرح السيد فؤاد خلوصى النائب الديمقراطى لمدينة استانبول فى مؤتمر صحفى عقده فى بيروت بقوله : « يجب إقامة اتفاق دفاعى بين تركيا والدول العربية لمواجهة كل اعتداء يمكن أن تتعرض له هذه المنطقة من العالم » واستطرد يقول « إن تركيا لاتؤيد فكرة توسع إسرائيل لأنها تعتقد أنها ستكون خطراً كبيراً لاعلى البلاد العربية وحدها بل عليها » .

● أطلق شاب (أرثوذكسى) النار على رئيسة « أخوات الرحمة » فى استنبول وإحدى الراهبات فيها فأصيبتا بجراح خطيرة وذلك بسبب اعتناق شقيقته المذهب (الكاثوليكى) رغم موافقة والديها .

● أذيع أن بعض شركات البترول الأمريكية قد بدأت العمل للتنقيب عن البترول فى المنطقة المستقلة الواقعة بين المملكة العربية السعودية والكويت ، وقال متحدث بلسان الشركة (المستغلة) لغرب الباسفيك للبترول أن البئر التى اكتشفت فى هذه المنطقة تدر (٥٠٠) برميل من البترول يومياً .

● قامت وكالة الاسوشتيدبرس بإحصاء فى عشر دول للجرائم التى ترتكب وعددها ونوعها وقد اتضح أن (الجرائم الجنسية) هى الوحيدة التىلاتزال منتشرة فى أوربا ، وأن بريطانيا وفرنسا تتنافسان على تسجيل الرقم القياسى فى كل أنواع الجرائم ! .

● قدم (روجر ليونز) للتحقيق معه فى مجلس الشيوخ الأمريكى بتهمة (الإلحاد) والمذكور هو رئيس (القسم الدينى !) فى محطة صوت أمريكا ! . .

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات هذا العدد

مطابع دار الكتاب العربى بمصر